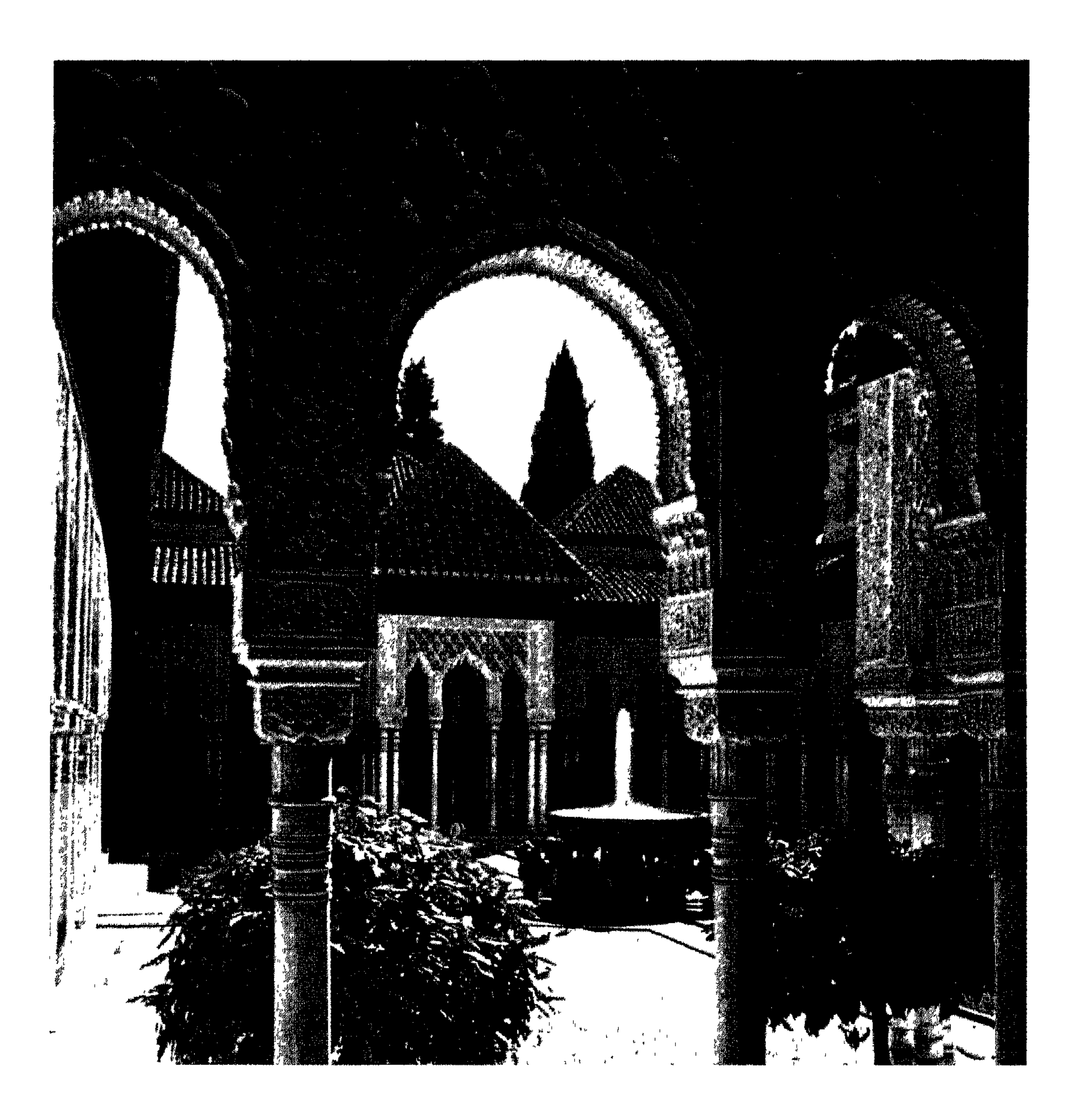
دراسات فى تاريخ وحضارة المغرب و الأندلس



الأستاذ الدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
أستاذ التاريخ الأسلامى و الحضارة الاسلامية
بكلية التربية - جامعة الاسكندرية

مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
ت : ٤٨٢٦٥٠٨ الإسكندرية



دراسات
في
تاريخ وحضارة المغرب والأندلس

دكتور
كمال السيد أبو مصطفى
أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية التربية - جامعة الاسكندرية

الناشر
مركز الاسكندرية للكتاب
٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة اسكندرية
ت ٤٨٢٦٥٠٠ الأسكندرية

١٩٩٧


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمـــه

يشتمل كتاب دراسات فى تاريخ وحضارة المغرب والاندلس على ثلاثة بحوث هى :

(١) بنو تافراجين ودورهم فى تاريخ الدولة الحفصية.

(٢) تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى).

(٣) شخصيات سكندرية فى الأندلس فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة .

ويبدأ هذا الكتاب ببحث عن أسرة بنى تافراجين ودورها السياسى والحضارى فى العصر الحفصى (فيما بين سنة ٦٧٤ - ٨٣٧هـ / ١٢٤٩ - ١٤٣٤م)، وبنو تافراجين من الأسر البربرية أو المغربية الموحدية الشهيرة وأصلهم من قبائل مصمودة بالمغرب الأقصى ، ولمع اسمهم منذ بداية عصر دولة الموحدين ، ثم هاجروا الى إفريقية (المغرب الأدنى) فى بداية عصر الدولة الحفصية (منتصف القرن ٧هـ) ، وأهم شخصيات تلك الأسرة الحاجب عبدالله بن تافراجين الذى قام بدور بارز وخطير فى الحوادث السياسية في إفريقية خلال القرن ٨هـ/١٤م ، فكان المدبر الحقيقى لأمور الدولة الحفصية سنوات عديدة ، وأصبح فى بعض الفترات السلطان غير المتوج للدولة الحفصية ، كما كانت له اسهاماته الحضارية خلال تلك الفترة سواء فى تطور خُطة الحجابة أو رعايته للعلم والعلماء علاوة على أعماله العمرانية فى مدينة تونس .

وفى البحث الثانى تناولت تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها فى عصر دويلات الطوائف ، ومما دفعنى الى اختيار هذا البحث انصراف الباحثين عن

دراسة تاريخ تلك المدينة الأندلسية لقلة المادة العلمية سواء المتعلقة بتاريخها السياسى أو بمظاهرها الحضارية فى العصر الإسلامى . وعلى هذا حاولت أن أسلط بعض الأضواء على دورها السياسى - وخصوصًا - فى عصر دويلات الطوائف (القرن ٥ هـ/ ١١م) عندما قامت بها إمارة طائفية مستقلة عن الحكومة المركزية بقرطبة ، كما حرصت على الاشارة الى بعض مظاهر الحضارة الاسلامية بها مثل العمران ومظاهر الحياة الاقتصادية والحركة العلمية والأدبية .

أما البحث الثالث فقد تعرضت فيه لدراسة بعض الشخصيات السكندرية في الأندلس فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة ، حيث أنه من الملاحظ اهتمام الباحثين بدراسة موضوع العلاقات التاريخية والحضارية بين مصر والأندلس ، وتركيزهم علي التأثيرات المغربية والأندلسية فى مصر وفى الاسكندرية بصفة خاصة.

ولذا رأيت أهمية دراسة التأثيرات التى أحدثها الطرف الآخر وأعنى بذلك التأثيرات السكندرية فى الأندلس سواء فى المجال السياسى أو الحضارى وذلك من خلال تناول بعض الشخصيات السكندرية التى هاجرت الى الأندلس واستقرت هناك ، ولعبت دوراً مهما فى الحياة السياسية والحربية والاقتصادية والفكرية خلال الفترة موضوع البحث .

ولعلنى بتلك البحوث أكون قد ساهمت ولو بقدر يسير فى إبراز بعض الجوانب فى تاريخ وحضارة الغرب الإسلامى .

والله الموفق ،،

د. كمال أبو مصطفى

الاسكندرية فى الثانى من سبتمبر ١٩٩٦

البحث الاول
بنو تافراجين
ودورهم فى تاريخ الدولة الحفصية
(٦٤٧ - ٨٣٧هـ / ١٢٤٩ - ١٤٣٤م)

أولية بنى تافراجين :

لعبت بعض الأسر العريقة دوراً مهما فى تاريخ الدولة الاسلامية ، سواء فى المشـرق او المغـرب الإسـلامى ، ومن أمـثلة ذلك : أسـرة البـرامكة فى العـصـر العبـاسى الأول ، والوزير بدر الجمـالى وإبنه الافـضل فى العـصر الفـاطمى ، وبنو عـامر فى عـصر الدولة الأموية بالأندلس ، وبنو عـباد أصـحاب إشبيلية فى عصر دويلات الطوائف ، وغيرهم كثير .

وفى إفريقية (المغرب الأدنى) خلال العصر الحفصى (القرن ٧هـ - ١٠هـ/١٣ - ١٥م) اشتـهرت العديد من الأسر العربية والبربرية ، التى يرجع أصلهـا إما إلى الإندلس أو المغـرب، ومن ذلك : بنو سـيـد الناس الإشـبليـون وبنو أبى الحـسين الأندلسيون [١] ، وبنو تافـراجين [٢] البربر وغيـرهم من البيـوتات البـارزة ، التى اسهمت فى تاريخ إفريقية السياسى والحضارى خلال عصر الدولة الحفصية.

أمـا بنو تافـراجين - مـوضـوع البـحث - فـهم من الأسـر الموحدية البـربـيـة الشـهـيـرة، وأصلهم من بربر تينملل [٣] ، الذين ينتـمـون الى قـبائل مـصـمـودة

---

(١) راجع التفاصيل حول تلك الاسر الاندلسية ودورها فى العصر الحفصى فى بحثى: «الأندلسيون فى تونس واسهاماتهم الحضارية »، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٢.

(٢) وردت كلمـة «تافـراجين» فى المصـادر العـربيـة فى صـور مـتـعـددة منهـا : تافـراجين وتفـرجين وتيفراجين وتفراجين وتافراكين وتافركين.

(٣) تينملل (أو تنمل أو تنملل أو تامللت) : حصن يقع بمنطقة جبل درن (أحد جبال أطلس) ببلاد السوس جنوب المغرب الأقصى . وهو حصن منيع صعب المرتقي . ويذكر ابن خلدون أن = =

بالمغرب الأقصى ، ولمع اسمهم منذ بداية عصر الموحدين أى مع ظهور دعوة الإمام المهدى بن تومرت زعيم الحركة الموحدية فى المغرب، حيث كان جدهم أبو حفص عمر بن تافراجين من أهل خمسين [1] ، وأحد اعوان المهدى فى نشر دعوة الموحدين بين بربر تينملل، فقد قام بمبايعته على رأس أهل بلده تينملل عند وصوله إليها فى سنة ٥١٥هـ/١١٢١ - ١١٢٢ [2] .

= قبائل المصامدة كثيرة بتلك المنطقة ومنهم هنتاتة وتينملل وهرغة، ويضيف المراكشى أن الامام المهدى بن تومرت اتخذ من حصن تينملل مركزاً له لحصانته ومناعته ، ومنه قامت دعوته، وبه قبره. راجع التفاصيل حول وصف تينملل فى : (مؤلف مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨ ، ص ٢٠٨، المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ، ١٩٦٢م، ص ٢٥٤؛ ابن خلدون ، العبر، ج ٦، طبعة بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٢٨ ؛ عبدالعزيز بنعبد الله ، الموسوعة المغربية للأعلام (معلمة المدن والقبائل) مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، عام ١٩٧٧، ص ١٦٢؛ عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج١ ، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ -٣٢٤؛ روجى لى تورنو، حركة الموحدين ، ترجمة أمين الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤ - ٣٥؛

Basset et Terrasses, Sanctuaires et forteresses almohades (collection Hesperis) Paris, 1932, pp. 1- 8.

(١) أهل خمسين (أو أيت خمسين) : صنف الإمام المهدى أصحابه إلى طبقات، فجعل منهم العشرة أو أهل الجماعة ، وهم المهاجرون الأوائل الذين أسرعوا إلى اجابته، أما أهل خمسين فهم الطبقة الثانية، وكانت تتكون من خمسين عضواً من. عدة قبائل ساهمت فى تأسيس حركة الموحدين فى المغرب، ومنهم أهل تينملل ، ويذكر المراكشى أن هذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى ، وكان المهدى يطلق عليهم اسم «المؤمنين». انظر (البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، طبعة ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٣٤؛ المراكشى ، نفسه ، ص ٢٥٢؛ ابن خلدون ، نفسه، ج٦ ، ص ٣٤٨ ؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، ج٢ ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ص ٨٥؛ هوبكنز النظم الإسلامية فى الغرب، ترجمة ، أمين الطيبى، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٧٧ ، ص ١٩٣ - ١٦٦).

(٢) البيذق، نفسه ، طبعة بروفنسال ، ص ٣٤ ؛ السلاوى ، نفسه، ج١ ، ص ٣٢٣؛ محمد الهادى العامرى تاريخ المغرب العربى ، تونس ، ١٩٧٤،ص ١١٢ ؛ هوبكنز ، نفسه ، ص ١٦٤ - ١٦٥.

وفى عهد الخليفة عبدالمؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين - (٥٢٤ - ٥٥٨هـ/ ١١٣٠ . ١١٦٣م)، ولى عمر بن تافراجين على فاس عندما فتحها الموحدون فى سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥ - ١١٤٦م، ثم تولى مراكش إثر فتحها فى سنة ٥٤١هـ/١١٤٦ - ١١٤٧م ، حيث كان الخليفة عبد المؤمن يستخلفه على الامارة والصلاة أثناء غيابه عنها ، مما يدل على المكانة البارزة التى تمتع بها مؤسس هذه الأسرة لدى الموحدين ، غير أن ابن تافراجين لم يلبث أن قتل بقصبة مراكش على أيدى بنى آمغار - أُخوة المهدى - حينما ثاروا على الخليفة عبدالمؤمن بمراكش فى سنة ٥٤٩هـ - ١١٥٤ - ١١٥٥م منتهزين فرصة غيابه لزيارة قبر الامام المهدى بتينملل [١] .

وبعد وفاة عمر بن تافراجين خلفه ابنه عبدالله الذى تمتع بنفس المكانة المرموقة التى كانت لوالده ، فتذكر المصادر انه كان من كبار الموحدين ومشيختهم ومن ذوى الرأى والمشورة فى الدولة الموحدية. ومما يدل على ذلك انه عندما أسند الخليفة يوسف بن عبد المؤمن - (٥٥٨ - ٥٨٠هـ/١٦٣ - ١١٨٤م) ولاية قرطبة لأخيه السيد أبى اسحق ، انزل معه للمشورة جماعة من شيوخ الموحدين على رأسهم عبدالله بن عمر بن تافراجين [٢] .

وبرز من أولاده ابنه عمر بن عبدالله بن تافراجين ، الذى حظى بنفس مكانة والده البارزة فى الدولة ، فولاه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/١١٨٤ - ١١٩٩م) قابس وأعمالها عقب فرار نائب قراقوش

---

(١) انظر : البيذق ، نفسه ، طبعة عبدالحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤ ، ص ١٤١ - ١٤٢؛ ابن خلدون، نفسه ، ج٦، ص ٢٣٦ - ٣٤٨؛ ابن الشماع ، الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المعموري ، ليبيا - تونس ١٩٨٤ ، ص ٩١ هـ ٢ ، برنشفيك ، تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى ، ج١ ، ترجمة حمادى الساحلى ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ١٨٦ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .

الأرمنى [١] عنها عندما علم بهزيمة سيده أمام جيش يحيى بن غانية [٢] ، الذى لم يلبث أن زحف نحو قابس ، وحاصر واليها الموحدى عمر بن تافراجين حصاراً شديدا ، وبعث الى أهلها ينذرهم ويحذرهم ، مما اضطر أهل قابس الي اجبار واليهم ابن تافراجين على الإذعان والاستسلام ، وفتحوا أبواب المدينة لابن غانية، بعد أن اشترطوا عليه إعطاء الأمان لابن تافراجين ، وأن يتوجه صحبة أهله وماله فى البحر إلى المغرب الأقصى ، فوافق على شروطهم ، وذلك فى رمضان سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٤ - ١١٩٥م [٣] .

وقد برز أيضا من بنى تافراجين فى أواخر عصر الموحدين شخصيات عديدة من أهمهم : عبدالعزيز بن تافراجين ، وهو من شيوخ الموحدين فى مراكش آنذاك ، وشارك فى الحوادث السياسية بها ، فى عهد الخليفة أبى العلاء إدريس المأمون

---

(١) هو شرف الدين قراقوش (أو قراقش) الغزي الأرمني، أصله من الأرمن ، وكان يقال له المعظمى والناصرى، لأنه كان يخطب للناصر صلاح الدين الأيوبى . وهو من مماليك الغز الذين قدموا من مصر، وكان مملوكًا لتقى الدين ابن أخى صلاح الدين. وقد وفد قراقوش على رأس المماليك الغز إلى إفريقية وتولى حكم طرابلس ، وتحالف مع عرب بني هلال، كما تعاون فترة مع بني غانية، وأغار معهم على الأطراف الشرقية للدولة الموحدية بالمغرب ، واستولى على بعض المدن والمعاقل هناك. راجع عنه : (المراكشى المعجب، ص ١٦٥ - ٣٦٦؛ التجانى ، الرحلة، طبعة تونس ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٣؛ ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦، ص ١٩٢؛ الزركشى ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، ١٩٦٦، ص ١٦؛ عزالدين موسى ، دراسات فى تاريخ المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٣، ص٢٤).

(٢) هو يحيى بن إسحاق بن محمد بن غانية المسوفى، من قبيلة مسوفة البربرية - احدى قبائل المرابطين - ويذكر المراكشى أن بني غانية كانوا من قادة المرابطين، وأبلوا بلاء حسنا فى الجهاد، وتدعيم دولة المرابطين فى بلاد المغرب والأندلس ، ثم استقروا فى ميورقة، وحملوا لواء الثورة ضد الموحدين عقب سقوط دولة المرابطين. انظر : (المعجب ، ص ٣٤٢ - ٣٥٢؛ العبر، ج٦، ص ٢٤٢ - ٢٤٧ - ٢٤٨؛

Alfred Bel, Les Benou Ghanya, Paris, 1903, p. 1- 19.

(٣) انظر : رحلة التجانى ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩؛ برنشفيك، نفسه، ج١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧.

بن المنصور الموحدي (٦٢٤ - ٦٢٩هـ - ١٢٢٧ - ١٢٣٢ م) ، حيث انضم إلى شيوخ الموحدين بالحاضرة مراكش عندما نقضوا بيعة الخليفة المأمون، وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر الملقب بالمعتصم عقب دخوله مراكش في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨ - ١٢٢٩م ، مما أدى إلى غضب المأمون عليه ، فقرر التخلص منه إثر عبوره من الأندلس إلى المغرب واستيلائه على مقاليد الحكم بمراكش، وذلك بأن أوعز إلى بعض أعوانه باغتياله عند ذهابه إلى المسجد لصلاة الفجر [١].

وتفيد المصادر بأن الخليفة المأمون الموحدى ندم على قتله شيخ الموحدين عبدالعزيز بن تافراجين ، فرعاها له في اخيه عبدالحق وبنيه ، بأن أعاد إليهم نفوذهم ومكانتهم المتميزة فى الدولة [٢]، غير أن ذلك لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما تدهورت الأوضاع فى الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى بسبب الفتن والحروب الداخلية بين الموحدين من بني عبدالمؤمن طمعًا فى الحكم ، فى الوقت الذى ازداد فيه نفوذ بنى مرين [٣] ، مما اضطر بنو تافراجين إلى الرحيل من المغرب الأقصى إلى إفريقية التى كانت تنعم آنذاك بالأمن والاستقرار والازدهار الحضارى فى ظل الحفصيين ، ولذا أصبحت فى تلك الفترة (أواسط القرن

---

(١) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ٢٢

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .

(٣) من المعروف ان الفترة الأخيرة من عصر الموحدين قد حفلت بالاضطرابات والانقسامات والحروب الداخلية بين أمراء الموحدين ، بسبب التنافس والصراع حول العرش ، فى الوقت الذى ازداد فيه نفوذ بني زيان فى تلمسان بالمغرب الأوسط ، وكذلك بني مرين الذين سيطروا علي المغرب الأقصى، وتمكنوا من القضاء على دولة الموحدين هناك فى سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩ - ١٢٧٠م، وذلك بمقتل أبى دبوس الواثق بن محمد أبى حفص بن عبدالمؤمن الموحدى فى نفس السنة أثناء الحرب ضد بنى مرين ، راجع التفاصيل في (المراكشى ، نفسه ، ص ٤٠٤ - ٤٠٩؛ العبر ، ج ٦ ، ص -٢٥ - ٢٦٢؛ الزركشى ، تاريخ الدولتين ، ص ٢٠ - ٢٢) .

٧هـ/١٣م(محط رحال المهاجرين من الأندلسيين والمغاربة على السواء [١].

بنو تافراجين وبداية اتصالهم بالحفصيين

بدأت هجرة بنى تافراجين إلى افريقية فى بداية عصر الدولة الحفصية ، وكان أول من هاجر إليها من بني تافراجين كبيرهم عبدالحق - سالف الذكر - الذى رحل إلى تونس - حاضرة الحفصيين - واستقر بها فى عهد السلطان محمد المستنصر بالله بن أبى زكريا الحفصى (٦٤٧ - ٦٧٥هـ/١٢٤٩ - ١٢٧٧م)، الذى استقبله بالحفاوة والترحاب وقربه إليه ، نظراً لأصله العريق ، وللخدمات الجليلة التى قدمتها عائلته للموحدين منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت [٢].

وبلغ من ثقة الخليفة المستنصر الحفصى فى الشيخ عبدالحق بن تافراجين، أن أسند اليه قيادة بعض الحملات العسكرية الموجهة للقضاء على الثوار والعصاة، فيذكر ابن خلدون ان المستنصر عهد اليه بقيادة حملة إلى الحامة [٣] ، بسبب تمرد وعصيان شيوخها وذوى الرأى والنفوذ فيها . فقام بتلك المهمة خير قيام ، وتمكن من اخماد الثورة بمنطقة الحامة ، «وقتل أهل الخلاف ، وحسم العلل» [٤].

---

(١) انظر : العبر ، ج ٦، ص ٢٩٦ ، ٣٤٩؛ ابن القنفذ، الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية، تحقيق محمد النيفر وعبدالمجيد التركي ، تونس ١٩٦٨، ص ١٠٩؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٢٥؛ Basset et Brunschving, Initiation a la Tunisie, Paris, 1950, p. 90.

(٢) انظر : ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٤٩؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) الحامة (أو الحمة وتسمى أيضا حامة قابس أو حامة مطماطة نسبة إلى سكانها من البربر): هى إحدى مدن بلاد قسطيلية بجنوبى إفريقية (المغرب الادنى) ويذكر الحميرى انها تقع على مقربة من قابس واشتهرت بكثرة النخيل وأهلها موصوفون بالشهامة والنجدة. انظر (البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب،نشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ ، ص ٤٨؛ العبر، ج ٦، ص ٤١٨؛ الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ص ٢٠٠).

(٤) العبر ، ج ٦، ص ٣٠٤ ، ٣٤٩؛ ابن القنفذ، الفارسية ، ص ١٤٤ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٤٧؛ محمد العروسى المطوي ، السلطنة الحفصية، نشر دار المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٦،

وفى عهد السلطان أبى اسحاق ابراهيم بن الواثق بن المستنصر الحفصى (٦٧٨ - ٦٨١هـ/١٢٧٩ - ١٢٨٣م) تولى عبدالحق بن تافراجين حكم بجاية وكانت من الحواضر الحفصية المهمة - آنذاك - وذلك عقب مقتل واليها محمد بن أبى هلال [١] فى سنة ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠م ، فاضطلع بها ، وأظهر كفاءة وحزما فى إدارة شئونها ، ووطد نفوذ الحفصيين ونشر الأمن والاستقرار فيها [٢] .

وعندما تمكن أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة الدعى من الاستيلاء على الحكم فى الدولة الحفصية مدعيا انه الفضل بن الواثق فى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م استعان بخدمات شيخ الموحدين عبدالحق بن تافراجين ، لخبرته الادارية والحربية الطويلة، واخلاصه فى خدمة الدولة ، فعهد اليه فى سنة ٦٨١ هـ بقيادة جيش من الموحدين لتأديب العرب ، ووضع حد لعيثهم وفسادهم فى حواضر وقرى إفريقية وقد نجح فى تحقيق اهداف تلك الحملة واثبت جدارته فى القيام بتلك المهمة الصعبة، حيث اثخن فى العرب ، وقتل بعض زعمائهم ، وقبض على البعض الآخر من مثيرى الشغب والفتنة، وعاد ظافراً الى الحاضرة تونس ، وظل يتمتع بالجاه والرياسة والنفوذ حتى وفاته [٣] .

ص ٢٦١؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١١٩ .

(١) هو شيخ الدولة أبو عبدالله محمد بن أبي هلال الهنتاتى ، كان من كبار رجال دولة السلطان الواثق بن المستنصر الحفصي فى بجاية، غير ان ابن الحبير (رئيس دولة) الواثق وكاتب علامته) ولى أخاه ادريس بن عبدالملك على بجاية فأراد التخلص من ابن أبى هلال وكبار الجند فيها وعندما علموا بذلك ثاروا ضده وقتلوه فى سنة ٦٧٧هـ، وبايعوا الأمير أبا اسحاق ابراهيم بين الواثق الذي دخل بجاية فى نفس السنة، ثم سرعان ما استولى على تونس وتولى حكم الدولة الحفصية فى سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، ولكن بعد ان استقر حكمه قام بالتخلص من ابن أبى هلال، حيث امر بقتله فى بجاية فى سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م لازدياد نفوذه «ولما كان يتوقع منه من المكروه فى الدولة»، وما عرف به من لاسعى فى اثارة الفتنة، انظر (العبر ، ج ٦ ص ٢٩٧ - ٢٩٩؛ ابن القنفذ، نفسه ، ص ١٣٥ - ١٣٦، ٢٥٩؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٤٢ ، ٤٤ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٣٠٤؛ ابن القنفذ ، نفسه ،ص ١٤٤؛ الزركشي ، نفسه، ص

وبعد وفاة عبدالحق بن تافراجين خلفه في قيادة أسرته بنو أخيه عبدالعزيز وهم: أحمد ومحمد وعمر ، الذين جاءوا على أثره من المغرب الأقصى ، واستقروا بالحاضرة تونس ، فنزلوا بها خير منزل ، وتمتعوا بمركز مرموق في الدولة الحفصية آنذاك . وكان أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين هو كبير تلك الأسرة، فولاه السلطان أبو حفص عمر بن أبي زكريا الحفصي)٦٨٣ - ٦٩٤هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩٥م) على قفصة ثم المهدية ، وظل واليا بالمهدية حتى التمس من السلطان الاستعفاء من الولاية ، فأعفي [١] ، ورغم زهده في الامارة كان السلطان أبو عصيدة - الذي خلف السلطان أبا حفص في سنة ٦٩٤هـ يستخلفه على الحاضرة تونس أثناء غيابه عنها ، وذلك تمشيًا مع سياسة أسلافه نحو تلك الأسرة الموحدية، حيث كان بنوتافراجين موضع ثقة السلاطين الحفصيين ورعايتهم، وقد استمر الشيخ أبو العباس أحمد بن تافراجين على مكانته وحظوته حتى توفي في أواخر عهد السلطان أبي عصيدة في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣ ، تاركا إبنين أحدهما أبو محمد عبدالله وهو الأكبر - والآخر يدعى أبا العباس أحمد [٢] .

بنو تافراجين ودورهم السياسي والحضاري في القرن ٨ هـ/١٤م

أ - بداية ظهور الحاجب عبدالله بن تافراجين :

يعتبر شيخ الموحدين الحاجب أبو محمد عبدالله بن أحمد بن تافراجين

٤٧؛ المطوي ، نفسه ، ص ٢٦١؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١١٩ .

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩؛ برنشفيك ، ج ١ ، ص ١٨٧.

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩. وجدير بالاشارة هنا أن الشيخ أبا العباس احمد والد الحاجب الشهير عبدالله بن تافراجين - علاوة على مشاركته في الادارة والحكم ، كان أيضا من العلماء الذين برزوا في العلوم الشرعية، حيث وصف في كثير من الوثائق بأنه «الشيخ الأجل الفقيه المحدث الراوية». انظر:

(Amari, Diplomi arabi dell archivio Fiorentino, t. I, Firenze, 1863, p. 99)

التينمللى ، أبرز شخصيات أسرته خلال العصر الحفصى ، لما له من دور بارز وخطير فى الحوادث السياسية فى افريقية فى القرن ٨هـ/١٤م ، وما تمتع به من نفوذ واسع وسلطات مطلقة مدة ما يزيد من عشرين سنة، حيث كان المدبر الحقيقى لأمور الدولة سنوات عديدة، وأصبح فى بعض الفترات السلطان غير المتوج للدولة الحفصية.

وقد نشأ أبو محمد عبد الله بن تافراجين وأخوه أبو العباس أحمد نشأة طيبة فى كنف السلاطين الحفصيين ورعايتهم ، إذ كان أبوهما – كما سبق الذكر – من كبار رجال الدولة ومن ذوى الرأى والمشورة فيها. ولم يلبث عبدالله أن قام بتدعيم مكانته بالزواج من إبنة أحد ذوى النفوذ فى البلاط الحفصى وهو ابن يزدوتن [١] – شيخ الموحدين آنذاك – وساعد ذلك علاوة على استعداده الشخصى ، واخلاص أسرته للحفصيين، على سرعة ارتقائه للخطط الكبرى فى الدولة [٢] .

ففى عهد السلطان أبى ضربة محمد المنتصر بن اللحيانى (٧١٧ – ٧١٨هـ/٧١٨هـ – ١٣١٧ – ١٣١٨م) حظى عبدالله بن تافراجين بصداقة السلطان، الذي استخلصه لنفسه ، وآثره بصحبته ورفع منزلته ، وظل من المقربين إليه إلى أن هُزم في وقعة مصوح [٣] فى سنة ٧١٨هـ، فأمر بالقبض عليه

(١) هو أبو يعقوب بن يزدوتن أحد شيوخ الموحدين في عهد السلطان أبى عصيدة (٦٩٤ – ٧٠٩هـ)، وقد تولى رئاسة الموحدين وتدبير الدولة بتونس فى سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦ – ١٣٠٧م، عندما عزم عرم شيخ الموحدين ابو يحيى زكريا بن اللحيانى فى الخروج للحج، كما تولى مشيخة الموحدين بتونس فى عهد السلطان ابى بكر بن عبدالرحمن الحفصى المعروف بالشهيد فى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، وعندما استولى أبو البقاء خالد بن يحيى الحفصى على الحاضرة تونس وتولى مقاليد الحكم فى سنة ٧٠٩ هـ أبقى عليه فى رياسة الموحدين مشاركا للشيخ أبى زكريا يحيى بن أبى الأعلام ، اظنر (العبر ، ج ٦ ، ص ٣٢ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٥٩ – ٦٠).

(٢) العبر ، ج ٦، ص ٣٤٩؛ برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) مصوح : يقع ذلك الموضع ببلاد هوارة (شرقى المغرب الاوسط) ، وفيه نشبت الموقعة بين السلطان أبى بكر الحفصى صاحب قسنطينية وبجاية آنذاك - وبين منافسه السلطان أبى ضربة ==

واعتقاله فترة مع كثير من شيوخ الموحدين [١] ، ويبدو أن ذلك بسبب الوشايات التى كثيراً ما يقوم بها الحاقدون فى البلاط ؛ أو أن يكون السلطان قد أحس بميلهم لمنافسة السلطان أبى بكر بن يحيى الحفصى (صاحب قسنطينة وبجاية آنذاك) وهو ما نرجحه ، حيث أن الحوادث التالية تشير إلى وجود نوع من التحالف بين ابن تافراجين والسلطان أبى بكر ، ويؤكد ذلك الحظوة والمكانة السامية التى تمتع بها فى عهده .

وفى عهد السلطان أبى بكر بن يحيى الحفصى (٧١٨ - ٧٤٧هـ / ٣١٨ - ١٣٤٦م) بدأ اسم عبدالله بن تافراجين يلمع فى الحاضرة تونس ، وازداد نفوذه، وتدرج سريعا فى المناصب القيادية فى الدولة ، فكان فى البداية ضمن حاشية السلطان أبى بكر الذى وثق به وأسند اليه بعض المهام الخطيرة، ومن ذلك اعتماده عليه فى السفارة الى المرينيين أصحاب المغرب الاقصى ، حيث أرسله فى سنة ٧٣٠ هـ مع ابنه الأمير أبى زكريا الحفصى على رأس سفارة إلى السلطان ابى سعيد المرينى (٧١٠ - ٧٣١هـ/ ١٣١٠ - ١٣٣١م)، للاستنجاد به ضد بنى زيان (بنى عبدالواد) أصحاب تلمسان، الذين استولوا على تونس فى سنة ٧٣٠هـ/أواخر ١٣٢٩م. وساهم ابن تافراجين بدور فعال فى توطيد العلاقات بين الحفصيين والمرينيين و عقد التحالف بينهما عن طريق المصاهرة ، بزواج الحرة فاطمة ابنة السلطان أبى بكر الحفصي من الأمير أبى الحسن على ابن السلطان أبى سعيد المرينى فى سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠ - ١٣٣١م [١] . كذلك أرسله

== بن اللحيانى وذلك فى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م - ١٣١٩م، وفيها تمكن السلطان أبو بكر من ايقاع الهزيمة بأبى ضربة، وقتل فى تلك المعركة بعض شيوخ الموحدين وعدد من أفراد البيت الحفصى؛ راجع : (ابن خلدون، نفسه ، ج ٦، ص ٣٢٩ ٣٣؛ برنشفيك ، نفسه ، ح١ ، ص ١٦٣).

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩

(٢) العبر ، ج ٦، ص ٣٤ - ٣٤١، ٣٤٩؛ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد فى ذكر الملوك من ==

السلطان في سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤ - ١٣٣٥م فى سفارة ثانية لخليفه وصهره السلطان أبى الحسن المرينى(بويع سنة ٧٣١هـ) ،وذلك لتجديد العهد وتوثيق عرى التحالف بينهما فى مواجهة بني زيان (أصحاب تلمسان) العدو المشترك [١].

وعقب ذلك رقاه السلطان ابو بكر الى خطة الوزارة خلفا للشيخ أبى محمد بن القاسم [٢]، ثم ولاه خطة الحجابة لإبنه الأمير أبى زكريا صاحب بجاية فى سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م «فأقام أحوال ملكه، وعظم أبهة سلطانه ووطد دعائم حكمه في ولاية بجاية وأعمالها ، غير أن ذلك أثار عليه حقد شيوخ الموحدين ببجاية ، ولذا طلب الاستعفاء، فأعفى وعاد إلى مكانه بالحاضرة تونس [٣]، حيث قدمه السلطان شيخا للموحدين فى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١ - ١٣٤٢م، وكان أصحاب النفوذ فى الدولة ومنهما الحاجب ابن عبدالعزيز [٤] والقائد ابن الحكيم[٥]،

== من بنى عبدالواد ، تحقيق عبدالحميد حاجيات ، الجزائر سنة ١٩٨٠، ص ٢١٨؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٦٨ ؛ حسن حسنى عبدالوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، طبعة تونس ، سنة ١٩٧٦، ص ١٣٧؛ رضوان البارودى ، سفارات متبادلة بين بني ريان ومملكة أراجون ، دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٤٣ - ١١ ، المطوى ، السلطنة الحفصية، ص ٣٤٤ - ٣٤٥؛ مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي ، ترجمة محمود هيكل ، الاسكندرية ، ١٩٩١، ص ٣٤١ - ٣٤٢؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(١) الزركشى ، نفسه ، ص ٧٣ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٣؛ ابن القنفذ . الفارسية ، ص ١٦٥؛ محمد الهادى العامرى، تاريخ المغرب العربي ، ٩٣ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٣ ، برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١٨٧ .

(٤) هو الحاجب أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عبدالعزيز الغسانى ، اصل سلفه من الأندلس، وهاجروا الى مراكش ، واستخدموا بها للموحدين ، واستقر أبوه اسماعيل بالحاضرة تونس، ونشأ ابو القاسم بها ، وتولى بعض المناصب المهمة، حيث ولاه ابن غمر (حاجب السلطان أبى بكر خطة الاشغال (وزارة المال) ، ثم تقلد خطة الحجابة للسلطان ابى بكر عقب نكبة حاجبه ابن سيد الناس ، انظر العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٠) .

(٥) هو القائد ابو عبدالله محمد بن على بن حمزة المعروف بابن الحكيم ، نشأ فى كنف الدولة = =

يرجعان إليه ويعولان على رأيه [١] .

وفى سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣ - ١٣٤٤) اتاحت الظروف لشيخ الموحدين عبدالله بن تافراجين تولى خطة الحجابة للسلطان - أبى بكر - وكانت أهم خطط الدولة الحفصية حينذاك ، وذلك عقب وفاة الحاجب ابن عبدالعزيز الغسانى فى نفس السنة [٢] .

وما ان تولى ابن تافراجين الحجابة حتى قرر الانفراد بتدبير شئون الدولة، والاستحواذ على النفوذ فيها ، بالتخلص من منافسه القائد ابن الحكيم ، (وزير الجند) ووجد الفرصة سانحة للايقاع به ، إثر تغيّر السلطان عليه ، بعدما حذره حاجبه ابن عبدالعزيز قبيل وفاته من ابن الحكيم وخطورته على دولته وتآمره عليه. ولذا نجح الحاجب ابن تافراجين بالتعاون مع السلطان أبى بكر فى التخلص من هذا المنافس القوى ، ونكبته فى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣ - ١٣٤٤م [٣] .

وبذلك أصبح الحاجب عبدالله بن تافراجين هو المدبر الوحيد لأمور الدولة،

= = الحفصية ، واختصه الحاجب ابن غمر وهيأه لتقلد الخطط العليا فرقى إلى عمل باجة ، واضطلع به ، وهو الذى تولى اعتقال الحاجب ابن سيد الناس وتعذيبه، فعقد له السلطان أبو بكر التدبير فى الحرب ، ثم انقلب عليه وأضمر نكبته بايعاز من حاجبه ابن عبدالعزيز وانتهى الأمر باعتقاله ومصادرة أمواله ، ثم قتله في سجنه سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م. (انظر العبر ، ج ٦، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، ٣٥٠؛ الفارسية ، ص ١٦٣ ، ٢٧٨) .

(١) ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٥٠.

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ ؛ ابن الشماع ، الأدلة البينة ، ص ٩٠؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٧٧؛ ابن ابى دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس تحقيق محمد شمام ، ط ٣ ، تونس ١٣٨٧هـ، ص ١٤٤ . وجدير بالذكر هنا ان ابن القنفذ اشار إلى أن تولية ابن تافراجين الحجابة للسلطان أبا بكر كانت عقب مقتل القائد ابن الحكيم الذى جمع بين قيادة الجيش والحجابة فى تلك الفترة، (الفارسية ، ص ١٦٥) والحقيقة ان تلك الرواية غير صحيحة، ولم نأخذ بها ، لأن جميع المصادر الأخرى اتفقت على ان ابن تافراجين خلف ابن عبدالعزيز فى الحجابة عقب وفاة الأخير سنة ٧٤٤هـ وهو ما أثبتناه بالمتن .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٠؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٦٥؛ برنشفيك ، نفسه، ج١، ص ١٨٧.

وبذلك أصبح الحاجب عبدالله بن تافراجين هو المدبر الوحيد لأمور الدولة، وصاحب الحل والعقد فيها ، مما ساعده على توطيد نفوذ أسرته ، حيث كان له دور واضح فى تولية أخيه أحمد الوزارة فى سنة ٧٤٤هـ، ثم تقليده قيادة الجيش عقب ذلك . غير أن القائد أحمد بن تافراجين لم يلبث أن قتل فى أوائل سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م ، على يد سحين من أولاد القوس (من عرب بني حكيم)، وهو من الخارجين عن الطاعة، عندما هاجمه بأتباعه فجأة أثناء قيامه بجباية الضرائب من بلاد هوارة ، وذلك بايعاز من ابن عتو (شيخ الموحدين وحاجب الأمير أبى العباس بن أبى بكر الحفصى وإلى بلاد الجريد) الذى كان منافسا لبني تافراجين وحاقدا على منزلتهم الرفيعة في الدولة [١] .

ومن جهة أخرى كان للحاجب عبدالله بن تافراجين دور كبير ايضا فى اتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين ، وتأكيد التحالف بينهما ، وذلك بزواج السلطان أبى الحسن المرينى من الحرة عزونة ابنه السلطان أبى بكر فى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، بعد مقتل أختها فاطمة أثناء وقعة طريف بجنوبى الأندلس (وتسمى فى المصادر الاسبانية موقعة نهر سلادو Rio Salado) والتى هزم فيها أبو الحسن المرينى امام نصارى قشتالة فى صفر سنة ٧٤١هـ/ اغسطس ١٣٤٠م [٢].

ونستنتج من المصادر أن الحاجب ابن تافراجين - الذى تميز ببعد النظر - كان حريصا على عقد تلك المصاهرة ، وبذل مجهودا ضخما لاقناع السلطان أبى بكر بالموافقة عليه، و ذلك لمعرفته بمدى قوة دولة بنى مرين فى بلاد المغرب، ولكى

---

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٠؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٦٥؛ برنشفيك ، نفسه، ج١، ص ١٨٧.

(١) العبر ، ح ٦ ، ص ٣٥٢ ٣٥٣؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٧٨ ؛ برنشفيك، نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧

(٢) العبر ، ج ٦، ص ٢٦٦ ٢٦٧؛ السلاوي الناصرى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، ج٤، تحقيق جعفر الناصرى ، محمد الناصرى ١٥٣ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥

يوطد علاقته وصداقته بالسلطان أبي الحسن المريني ، ليكون عونًا وملجأ امنًا له في حالة تقلب الأحوال بالحاضرة تونس ، أو إذا ما تنكر له سلاطين بني حفص لوشاية أو مؤامرة من أحد الحاقدين عليه في البلاط الحفصي ، وعلاوة على ذلك كانت الدولة الحفصية وعلى رأسها السلطان أبي بكر وحاجبه ابن تافراجين - بحاجة ماسةإلى مساعدة المرينيين والتحالف معهم في مواجهة الضغط الزياني على الأجزاء الغربية للدوله

ب - ابن تافراجين ودوره في تولية السلطان أبي حفص عمر الحكم

كان السلطان أبو بكر قد أسند ولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد والي بلاد الجريد (جنوبي إفريقية) غير انه لما توفي السلطان أبو بكر فجأة في رجب سنة ٧٤٧ه/١٣٤٦م. قام ابنه أبو حفص عمر - الذي كان مقيما انذاك بالحاضرة تونس - وبتحريض من الحاجب عبدالله بن تافراجين بالسيطرة على القصر، وضبط أبوابه، تمهيداً لأخذ البيعة من شيخ الموحدين، وأهل الشورى في الدولة. منتهزاً فصة غياب اخيه أبي العباس - ولي العهد بقفصة - حاضرة بلاد الجريد [(١)]

وحاول الأمير أبو حفص اقناع القاضيين ابن عبدالسلام (قاضي الجماعة) والأجمي (قاضي الأنكحة) بمبايعته دون جدوى ، بحجة أنه سبق لهما ان شهدا في بيعة أخيه أبي العباس كولي للعهد ، وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر

---

(١) انظر ابن خلدون ، العبر، ج ٦، ص ٣٥٥، ابن الشماع ، الأدلة البينة، ص ٩١، الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ٨، السراج الاندلسي ، الحلل السندسية في الخبار التونسية، مجلد ٢ تحقيق الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٧٤، ص ١٦٨، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، طبعة بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٦، المطوى ، السلطنة الحفصية، ص ٣٧١

بها الدولة الحفصية، وعدم قدرة الأمير أبى حفص على السيطرة على زمام الأمور بتصدى الحاجب ابن نافراجين لمواجهة الموقف ، ويقوم بتذليل تلك العقبة، وإجبار القاضيين على مبايعته ، وذلك بان امر ألا يخرج أحد من المجلس - بقصر الحكم ثم طلب من القاضيين الاشتغال بغسل السلطان أبى بكر وتكفينه ، وعقب ذلك استدعى وجوه الموحدين وقواد الجند وأعيان الحاضرة، وأخرج لهم الأمير أبا حفص عمر فبايعوه ، وما شعر القاضيان ومن معهما حتى سمعوا جلبة الطبول والبوقات ، «وهنا علما ببدأ مبايعة أهل الحل والعقد للأمير أبى حفص، فاضطروا إلى قبول الأمر الواقع ، ومبايعته ، وكتبت وثيقة بعقد البيعة له «لاختيار العامة والخاصة إياه عن ولى العهد»، ويضيف الزركشى ، ان ذلك يدل على حسن سياسة الحاجب ابن تافراجين، ومقدرته على تصريف مشاكل الدولة [١] .

والحقيقة أن الدور الخطير الذى قام به الحاجب ابن تافراجين فى تولية أبى حفص عمر الحكم بدلا من أبى العباس ولى العهد ، لم يكن يهدف من ورائه مصلحة الدولة أو الرعية، بل كان يخدم - فحسب - أغراضه الشخصية وطموحه فى النفوذ والسلطة، بمعنى أنه كان يرمي إلى الاستبداد بالحكم عن طريق تفويض السلطان أبى حفص له تدبير أمور دولته بصفته الحاجب، تقديراً لجهوده ودوره

---

(١) أنظر تاريخ الدولتين ،ص ٨ ، الونشريسى ، المعيار المعرب ، ج١ ، طبعة وزارة الاوقاف المغربية، ١٩٨١ ، ص ٥ ٦ : السلاوي ، نفسه ، ج٤ ، ص ١٥٤؛ حسن حسنى عبدالوهاب خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٤٠، المطوى ، نفسه، ص ٣٧١ - ٣٧٢؛ محمد الهادى العامرى تاريخ المغرب العربى ، ص ٩٣؛

Henri Terrasse, Histoire du Marco, Casablanca, p 59

وهكذا تولى السلطان أبو حفص عمر بن أبي بكر الحفصي العرش وتلقب بالناصر لدين الله ، عقب وفاة أبيه في الثاني من رجب سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، إلا أن ذلك أدى الى حدوث الاضطرابات والفتن في الدولة. فنشبت الحرب بين أبناء الأسرة الحفصية لان أبا العباس - ولى العهد الشرعى - (والي الجريد) عندما علم باستيلاء أخيه أبي حفص على العرش ، صمم على استرداد حقه الشرعى فى الحكم فجمع من حوله أنصاره من الأعراب ، وزحف بهم نحو الحاضرة تونس ، في الوقت الذى بدأ فيه السلطان أبو حفص يتنكر لحاجبه ابن تافراجين بسبب وشايات منافسيه في الحاشية، الذى أوغروا صدره عليه، وأثاروا مخاوفه من ازدياد نفوذ حاجبه الطموح واستبداده بأمور الدولة، ويذكرونه بالمنافسة القديمة بينه وبين الحاجب خلال عهد السلطان أبي بكر، وقد أحسن ابن تافراجين بذلك، وتأثر السلطان بسعايه خصومه ، مما ينذر بالخطر في حالة الاستمرار في صحبة السلطان أبي حفص ، ولذا أعمل الحيلة في الخلاص والهرب لحين تتحسن الاحوال لمصلحته ، ويتمكن من العودة الي تونس لمواصلة الاستحواذ على السلطة [١].

وعلى هذا انتهز الحاجب ابن تافراجين وصول الأمير أبي العباس بقواته قرب الحاضرة تونس ، وقبيل التقائه بجيش السلطان أبي حفص - خارج الحاضرة - قرر الهرب ، حيث تذرع للسلطان بضرورة العودة إلى تونس في بعض المهام العاجلة [٢] ، ثم جمع ذخائره وأمواله وفر ليلا إلى قسنطينة ومنها اتجه الى

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦؛ ابن الشماع، نفسه ، ص ٩٢؛ ابن أبي دينار المؤنس ، ص ١٤٥ ؛ برنشفيك، نفسه ، ج١ ، ص ١٩٦ .

(٢) من الملاحظ ان ابن الشماع قد انفرد بذكر رواية مفصلة حول كيفية فرار الحاجب ابن تافراجين قبيل المعركة. فأوضح انه طلب من السلطان ابي حفص ان يرجع الى الحاضرة تونس، «ليأخذ من المال ما يكمل به حركة من بقي من. الأجناد ، فأسعفه بذلك ، ويعث من خدمه من يأمر أمه ان تعطيه ما يقول لها ، فدخل تونس ووصل القصبة وأخذ من أم السلطان ما أراد ، وانصرف إلى رياضه فدخله ... » وجلس خدام السلطان ينتظرون عند الباب ، وكان ذلك في العتمة أول الليلة من رمضان ، فركب جواده وخرج من الباب الآخرمتوجها الى المغرب، انظر (الأدلة البينة ، ص ٩٢).

السلطان الى الحسن المريني بالمغرب الاقصى (١) . وفي تلك الأثناء علم أبو حفص بفرار حاجبه ابن تافراجين فاضطرب لذلك ، واختل مصاف جيشه ، واضطر للهرب هو وجنده إلى تونس ومنها الى باجة ، مما مكن الأمير أبا العباس احد من دخول العاصمة تونس في الثامن من رمضان ٧٤٧هـ/ديسمبر ١٣٤٦م، ولكنه لم يستمر في الحكم سوى سبعة أيام ، وذلك إثر قيام إبي حفص بهجوم مفاجيء على تونس ، أسفر عن اقتحامها وفرار أبي العباس عنها ، ثم القبض عليه وقتله واستتباب الحكم للسلطان أبي حفص مرة ثانية (٢) .

جـ . ابن تافراجين ودوره في التدخل المريني في إفريقية :

عندما علم السلطان أبو الحسن المريني باستيلاء أبي حفص على العرش وقتله لأخيه ابي العباس – ولي العهد الشرعي – ، غضب لذلك لأنه كان قد

---

(١) تجدر الاشارة هنا إلى ان ابن القنفذ أفاد بأن الحاجب ابن تافراجين لم يطمئن الى السلطان ابي حفص مما اضطره للفرار الى المغرب، حيث اتجه أولا الى قسنطينة، غير ان السلطان بعث وراءه من رده ، وثقف ليلتين في قصبة تونس ، «ثم أطلقه المزوار القائد نبيل لمصلحة ، وغرب الى الأمير أبي الحسن المريني ...»، والحقيقة ان تلك الرواية جانبها الصواب ولا تتفق مع مجريات الحوادث، ولذا لم نأخذ بها ، لأن كل المصادر الاخرى أجمعت على ان ابا حفص عندما علم بفرار حاجبه اضطرب وفرَّ أيضا من المعركة، والتجأ إلى باجة ، وبالتالي لم يكن مهتمًا باعادة ابن تافراجين إلى تونس بسبب صعوبة الموقف الذى كان يتعرض له من جانب جيش أخيه أبي العباس ، الذى لم يلبث أن استولى على الحاضرة تونس عقب فرار السلطان أبي حفص عنها. انظر : (الفارسية، ص ١٦٩ . وراجع ايضا للمقارنة بين الروايات : العبر ، ج ٦، ص ٣٥٦؛ الأدلة البينة ص ٩٢؛ تاريخ الدولتين ، ص ٨١؛ المؤنس ، ص ١٤٥؛ الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مجلد ٢ ، ص ١٦٨).

(٢) انظر : العبر، ج ٦، ص ٣٥٧ – ٣٥٨؛ ابن الشماع ، الأدلة البينة، ص ٩٣؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ٨١؛ السراج الأندلسي، الحلل السندسية، مجلد ٢ ، ص ١٦٨؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ص ١٤٥؛ جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج ٢ ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس ، ١٩٧٨، ص ١٨٤، برنشفيك ، ج١ ، ص ١٩٦.

شهد على سجل توليته العهد ، وكتب ذلك بخطه في السجل. وعلى هذا رأى السلطان أبو الحسن في نقض أبي حفص العهد ، وقتله لأخيه ذريعة للتدخل في افريقية، وبسط نفوذه عليها ، خاصة وأنه كان يطمح إلى ذلك ويمني نفسه بملكها منذ عهد السلطان أبي بكر الحفصي، ومما شجعه على ذلك أيضا تحريض ابن تافراجين له ، وترغيبه في ملك إفريقية، ويؤكد ذلك قول الزركشي أن السلطان أبا الحسن المريني أجمع الحركة علي افريقية، وقوى عزمه على ذلك قدوم الوزير ابن تافراجين ...» [١] .

وجدير بالملاحظة أن بعض الروايات التاريخية تلقى على موقف ابن تافراجين من الحفصيين ومدى اخلاصه لهم بعد وفاة أبي بكر الحفصي، ظلالا من الشك، خاصة وأن كل المصادر أجمعت على أنه هو الذى مهد الطريق أمام المرينيين لغزو إفريقية، ويمكن القول ان حرصه على تدعيم صلته بالمرينيين خلال عهدى أبي سعيد المريني وابنه أبي الحسن ، ودوره الفعال في اتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين ، وتسببه في احداث النزاع بين الأخوين حول العرش رغم تعيين ولي العهد ، ثم تخليه عن سلطانه أبي حفص في وقت عصيب لمجرد الظن بتغيّر السلطان عليه، واسراعه بالفرار واللجوء الى السلطان أبي الحسن المريني، وتحريضه اياه على غزو افريقية، كل ذلك يؤكد حرص الحاجب ابن

---

(١) العبر ، ج ٦، ص ٣٥٦ - ٣٥٧؛ ابن الشماع ، نفسه، ص ٩٤؛ الزركشي ، نفسه ، ص ٨٢؛ السراج، ص ١٧٠ ، ابن ابي دينار، نفسه ، ص ١٤٦؛ برنشفيك، نفسه ، ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٧؛

Josefa Mutge Vives, Algunas oticias sobre la relaciones entrela corona catalano-aragonesa Y El reino de tunez, en actas del coloquio, Madrid, 1988, p 137

وجدير بالاشارة هنا أن أبا الحسن المريني عقب هزيمته في موقعة نهر سلادو امام النصارى القشتاليين وجه نشاطه العسكرى تجاه بلاد المغرب بعد أن مني بالفشل في الجبهة الاندلسية ، ولا شك ان تلك التغيرات السياسية التى حدثت بافريقية في تلك الفترة كانت مجرد ذريعة للتدخل وبسط نفوذه عليها .

تافراجين الشديد على تحقيق طموحه فى السلطة مهما كانت النتائج، كما يثير فى نفس الوقت الشك حول وجود نوع من التحالف السرى بينه وبين المرينيين، ضد أسياده الحفصيين ، لا سيماااذا ما شعر بوجود تهديد لنفوذه وسلطاته المطلقة فى الدولة [١] .

وكيفما كان الامر فقد زحف السلطان أبو الحسن المرينى بجيش ضخم الى افريقية مصطحبًا معه ابن تافراجين ، كما انضم اليه العرب الكعوب ، وتمكن الجيش المرينى من الاستيلاء على الحاضرة تونس فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ/سبتمبر ١٣٤٧م بعد فرار السلطان أبى حفص ، الذى لم يلبث ان قبض عليه وقُتل ، ودخل السلطان أبو الحسن قصبة تونس وطاف بقصور الحفصيين بها ، ومعه حليفه ومحرضه ابن تافراجين . وبذلك خضعت افريقية لبنى مرين، وأعلن أمراء الولايات بها طاعتهم للسلطان أبى الحسن المرينى [٢] .

د - إفريقية تحت الحكم المرينى وموقف ابن تافراجين :

عقب استقرار الأمور للسلطان أبى الحسن المرينى بافريقية، وضح اضطلاعه بنفسه بتدبير شئون دولته هناك ، فرغم اسناده الوزارة لابن تافراجين الا انه لم

---

(١) انظر العبر ، ج ٦، ص ٣٥٧ - ٣٥٨، ج ٧ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٠؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٤ - ٩٥؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٢؛ السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧؛ ابن أبى دينار ، نفسه ص ١٤٥ - ١٤٦؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ محمد الهادى العامرى ، نفسه ، ص ٩٥ ، ٩٧ - ٩٨ ، برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١٩٧ ؛

Terrasse, Historic du Maroc, . 59, Ency., of Islam, art., Tunis, Wol, IV, London, 1913, p. 852 & Vives, op.cit, p. 139.

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٠ ، ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٧ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٤؛ السلاوى،نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١ ؛ المطوى ، نفسه ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩؛ برنشفيك، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٠.

يمنحه نفوذه السابق، ولم يفوضه فى أمور الدولة لأنه كان قائماً على أمره، وليس التفويض للوزراء من. شأنه، مماأثار سخط ابن تافراجين ، الذى كان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكل إليه أمر افريقية، وقيل انه عاهده على ذلك، ولهذا بدأ يتحين الفرصة للوثوب على السلطان المرينى وطرده من افريقية [١] .

وفى تلك الأثناء كان العرب أيضا قد نقموا على السلطان ابى الحسن المرينى لاساءته السيرة فيهم بمنعهم من الأعطيات وانتزاع ما بأيديهم من اقطاعات، ويسبب إلغائه ضريبة أو إتاوة الخفارة التى كان يفرضها العرب على المسافرين وسكان المناطق الصحراوية نظير حمايتهم ، ولذا خرجوا عن طاعته وثاروا عليه، وبايعوا شخصا مغموراً من أعقاب الخلفاء الموحدين يدعى أحمد بن أبى دبوس، وأخذوا يغيرون على ضواحى الحاضرة تونس ، وقاموا بأعمال السلب والتخريب، ممأأدى الى محاربة السلطان أبى الحسن لهم ولكنهم تمكنوا من الانتصار عليه، وحاصروه بالقيروان - التى فر إليها - حصارا شديدا فى المحرم سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م [٢] .

وهكذا أصبحت الظروف مواتية أمام ابن تافراجين للانتقام من السلطان أبى الحسن المرينى ، واسترداد نفوذه الواسع الذى اعتاده منذ عهد السلطان أبى بكر الحفصى ، حيث طلب العرب من أبى الحسن المرينى - المحاصر بالقيروان - ان يبعث اليهم وزيره ابن تافراجين - الذى يحظى بحب معظم العرب لاغداقه عليهم

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٧؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٤؛ السلاوى، نسه ، ج ٤، ص ١٦ - ١٦١ ؛ المطوى ، نفسه ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩؛ برنشفيك، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٠.

(٢) النباهى المالقى ، تاريخ قضاة الأندلس ، طبقة بيروت ١٩٨٣، ص ١٦١؛ العبر ، ج ٦، ص ٣٥٦ - ٣٦٠؛ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ص ٢٣٥؛ ابن الشماع ، نفسه، ص ٩٦؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٨٣ - ٨٤؛ السلاوى ، نفسه ، ج ٤ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، المطوى، نفسه ، ص ٣٩١ ٣٩٥؛ جوليان ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ١٨٥ ؛ برنشفيك ، نفسه، ج ١، ص ١٩٩ ؛ Terrasse, op. cit. p. 59

الارزاق والأعطيات أثناء حجابته للحفصيين - وذلك لمفاوضته في الصلح، ووافق السلطان المريني ، وأرسل اليهم ابن تافراجين ، الذى سرعان ما أعلن الثورة ضد أبى الحسن المرينى ، وتحالف مع الاعراب وقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبى دبوس، ثم زحفوا بقيادة ابن تافراجين نحو الحاضرة تونس ، واستولوا عليها وحاصروا قصبتها ، وقذفوها بالمنجنيق، غير انهم لم يتمكنوا من اقتحامهم لمنعتها وحصانتها وقوة الحامية المرينية المدافعة عنها، في الوقت الذى كان فيه السلطان أبو الحسن المرينى قد داخل بعض العرب المحاصرين له بالقيروان فى فك الحصار عنه مقابل بعض الأموال ، وتمكن بذلك من العودة إلى تونس بحراً (١) .

وما أن علم الحاجب ابن تافراجين بذلك حتى تسلل خفية عن أتباعه العرب، وركب إحدى السفن الى الاسكندرية فى ربيع الثان سنة ٧٤٩هـ/١٣٧٨م، مما أدى الى انسحاب العرب من تونس واستتباب الأمور فيها للسلطان أبى الحسن المرينى مرة أخرى (٢) .

ومن الثابت أن الحاجب ابن تافراجين نزل الاسكندرية فى بداية عهد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر (سلطنته الأولى من ٧٤٩ - ٧٥٢هـ) وكان والى الاسكندرية - آنذاك - على الأرجح هو سيف الدين يكتمر بن عبدالله المؤمنى (ولايته الأولى غير محددة، وقد عزل فى سنة ٧٥١هـ/١٣٥١م) (٣) .

---

(١) العبرة ، ج ٥ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢) انظر " ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦١ ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ؛ ابن الشماع، نفسه، ص ٩٧ - ٩٨؛ الزركشي ، نفسه ،ص ٨٤ - ٨٥؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠؛ Terrasse, op.cit., p. 59

(٣) انظر المقريزي ، السلوك ج ٢ ، ق ٣ ، تحقيق محمد مصطفى زياده ، ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٥٨، ص ٧٤٥ وما بعدها ؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، نشر دار الجيل بيروت ، بدون تاريخ ج١ ، ص ٤٨٨ .

وتذكر الرواية أن السلطان أبا الحسن المرينى بعث عقب عودته الى تونس برسالة الي الناصر حسن سلطان مصر فى ٧٤٩هـ/١٣٤٨م - يلتمس منه فيها القبض على ابن تافراجين الذى نزل بالاسكندرية [١]، واقام بها بعض الوقت فى جوار اصدقائه من الأمراء المماليك [٢]، إلا أن مطلب السلطان المرينى لم يحظ بالاستجابة ، فى الوقت الذى اتجه فيه ابن تافراجين إلى مكة لأداء فريضة الحج [٣] .

---

(١) يذكر ابن بطوطة انه عند التقائه بالسلطان أبى الحسن المرينى بتونس سأله عن ابن تافراجين فأخبره بتعرضه للاذى من جانب الجالية المغربية المقيمة بالاسكندرية، التى حاولت قتله انتصارا للسلطان ابى الحسن . (رحلة ابن بطوطة ، تحقيق طلال حرب ، بيروت سنة ١٩٨٧، ص ٦٦٥). ولا شك أن رواية ابن بطوطة يغلب عليها المبالغة ومحاولة التزلف للسلطان ، لأن ابن تافراجين كان يتمتع بحماية بعض أصدقائه من الأمراء المماليك بالاسكندرية. ومن جهة أخرى يبدو أن أبن تافراجين كان حريصا على تأمين موقفه أثناء فترة حجابته للسلاطين الحفصيين، ولذا أقام علاقة صداقة مع أمراء المماليك بالاسكندرية ، كى يلجأ اليهم ، عند الحاجة ، ولا يستبعد أن يكون قد اكتسب صداقتهم عن طريق ارسال الهدايا الثمينة لهم من حين لآخر .

(٢) يذكر ابن خلدون (العبر ، طبعة بيروت ، ج٦ ، ص ٣٦٤) أن ابن تافراجين لما نزل بالاسكندرية بعث السلطان أبو الحسن المرينى الى ملوك مصر فى التحكيم فيه ، فأجاره الأمير المستبد على الدولة يومئذ ويدعى «سقاروس» ، ولا شك ان هذا الاسم فيه تصحيف من الناسخ، وصحته بيبغاروس أو أرس . وهو بيبغا بن عبدالله القاسمى الناصرى، ولقبه سيف الدين ، كان من جملة امراء الناصر محمد بن قلاوون ، ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية بعد وفاة الملك الناصر مدة ، ثم نقل الى نيابة حلب سنة ٧٥٢ ، ثم قتل فى سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢ - ١٣٥٣م إثر خروجه على الطاعة، راجع عنه (ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج٣ ، تحقيق نبيل عبدالعزيز، القاهرة سنة ١٩٨٥ ، ص ٤٨٦ - ٤٨٨).

(١) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦، ص ٣٦٤؛ السراج، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٥؛ السلاوي، نفسه ، ج٤ ، ص ١٦٢؛ حسن حسنى ، عبدالوهاب ، نفسه ، ص ١٤١ ، محمد المنوفي ، علاقات المغرب بالمشرق ايام السلطان ابى الحسن المرينى ، ضمن كتاب ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ، الرباط ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٧٩ ، والحقيقة اننا لا نستبعد ان يكون رحيل ابن تافراجين عن مصر الى مكة لاداء فريضة الحج قد تم بالاتفاق مع المماليك حتى لا يتسبب فى حرج لهم مع أبى الحسن المرينى سلطان المغرب الذى تربطهم به علاقات ودية .

هـ - ابن تافراجين ودوره فى عزل الفضل الحفصى وتوليه السلطان أبى اسحاق :

فى تلك الفترة)٧٤٩هـ /١٣٤٨ - ١٣٤٩م) ساءت الاحوال بافريقية، حيث بدأ الأمير ابو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى صاحب بونة (عنابة) يسعى لاسترداد ملك أبيه في افريقية، وانضم اليه أمراء الولايات بها والكثير من العرب، وبايعوه ، وحاصروا المرينيين بتونس دون جدوى، فى الوقت الذى علم فيه السلطان ابو الحسن المرينى باستيلاء ابنه ابى عنان فارس على الحكم فى المغرب، مما جعله يسارع بمغادرة تونس متجهًا الى المغرب الاقصى في أوائل شوال ٧٥٠هـ/١٣٤٩ - ١٣٥٠م، بعد ان عقد لابنه أبى الفضل على تونس ، ولكن لم تستتب له الأمور ، اذ ثار عليه أهل الحاضرة تونس فى نفس السنة، وبايعوا الأمير الفضل الحفصى - صاحب بونة - الذى حاصر تونس حصارا شديدا، واضطر الأمير أبو الفضل المرينى الى الاستسلام مقابل الامان ، وبذلك استرد السلطان الفضل الحفصى - لاذى تلقب بالمتوكل على الله - عرش أبيه وذلك فى أواخر ذى العقدة سنة ٧٥٠هـ/ أوائل ٢٥٠م [١] .

أما ابن تافراجين فبدأ يظهر على مسرح الحوادث بافريقية مرة أخرى عقب عودته من الحج بصحبة عمر بن حمزة زعيم أولاد أبى الليل (من العرب الكعوب) ، وكان قد التقى به فى مكة أثناء الحج وتعاهدا على العودة الى افريقية «والتظاهر على أميرها« ، وتمكن عمر بن حمزة من توحيد صفوف أولاد أبى الليل تحت قيادته واتفقوا جميعا على المكر بالسلطان الفضل الحفصى إذا لم يستجب لمطلبهم فى السماح لابن تافراجين بدخول الحاضرة تونس ، وتقليده

---

(١) انظر : العبر ، ٦ ، ص ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ابن الشماع ، نسه ، ص ٩٨ - ٩٩؛ الزركشى ، نفسه ص ٨٨ - ٨٩؛ السراج ، نفسه ، ملجد ٢ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤١١ - ٤١٢؛ برنشفيك ، نفسه ، ح ١ ، ص ٢١١١ .

Gimenez Soler, La corona de Aragon y Granada, Barcelona, 1908, p 292. .

الحجابة بدلا من حاجبه أبى القاسم بن عتو ، غير ان السلطان الفضل رفض الاستجابة لهم ، مما دفعهم الى الغدر به فأوهموه بميلهم الى عقد الصلح خارج تونس، وانخدع السلطان واجابهم الي ذلك ، وسرعان ما أحاطوا به وبحاشيته، واعتقلوه ببيوتهم وأذنوا لابن تافراجين بدخول تونس ، وبسط سلطانه عليها في ١١ جمادى الاولى سنة ٧٥١هـ/ يوليو ١٣٥٠م ، وحينئذ أعلن الحاجب ابن تافراجين عزل الفضل الحفصي، ومبايعة أحد أخوته وهو أبى اسحاق ابراهيم ابن أبى بكر الحفصي ، فأجلسه على كرسى الخلافة وبايعه الخاصة والعامة وكان لا يزال صبيا صغير السن ، ولذا أصبح فى كفالة حاجبه عبدالله بن تافراجين [١] .

و - الحاجب ابن تافراجين ودوره فى عهد السلطان أبى اسحاق :

عقب تولى السلطان أبى اسحاق ابراهيم (المستنصر بالله الثانى) الحكم سنة ٧٥١هـ/ ١٣٤٠م ، تم التخلص من أخيه الفضل، وقتله هو وحاجبه ابن عتو ، وقام الوزير الحاجب ابن تافراجين بتدبير دولة السلطان أبى اسحاق ، وتمهيد أموره، وكان له فى ذلك باع طويل واستبد بالحكم دون السلطان ، وانتهى أمره إلى أن يسلم عليه بسلام الملوك، وأصبح فى تلك الفترة الحاكم الفعلى . والسلطان غير المتوج للدولة الحفصية قرابة خمسة عشرة عاما ، وساعده على

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٤؛ الأدلة البينة، ص ١١١١؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٧٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية، طبعة لجنة إحياء التراث، بيروت ، ط ٣ سنة ١٩٨٠ ، ص ١١٩ ، الزركشى ، نفسه ، ص ٩٠ ، السراج، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٥؛ ابن ابى دينار ، نفسه ، ص ١٤٨؛ القلقشندى ، نفسه ، ج٥ ، ص١٢٧ ، محمد الهادى العامرى، نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

ذلك ميل أهل الحاضرة تونس إليه ، لحسن سيرته فيهم ، وحرصه على بعث الطمأنينة فى نفوسهم ونشره الأمن والاستقرار فى ربوع البلاد [١] .

ويمكن أن نتبين أهم معالم السياسة الداخلية للحاجب ابن تافراجين والمشكلات التى واجهته فى تلك الفترة فيما يلى :

أولا : موقفه من الأعراب :

أشارت المصادر الى نجاح الحاجب ابن تافراجين الملموس فى حل مشكلة الأعراب المزمنة، والتى ظلت قائمة فى معظم فترات العصر الحفصى ، وتتمثل فى عدم خضوعهم تماما لسلطة الدولة فى أغلب الاحيان ، وقيامهم بأعمال السلب والنهب والتخريب فى بلدان إفريقية ، فيذكر ابن خلدون ان عرب بنى كعب (الكعوب) دخلوا فى الطاعة، ويضيف ابن الشماع ان ابن تافراجين استخلص قواعد البلاد من أيدى العرب بأحسن محاولة، بعد أن تعهد لهم بأن يوفى لهم حاجتهم كل عام من مجابى تلك البلدان الخاضعة لنفوذهم . وبذلك أعاد للحفصيين سلطانهم على بلاد قرطاجة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسق [٢] والأربس [١] وأسند حكمها لأعوانه والمخلصين له من الولاة [٢] .

---

(١) ابن الحاج النميرى ، فيض العباب ، تحقيق محمد بن شقرون ، الرباط عام ١٩٨٤ ، ص ١٥٤؛ ابن الشماع ، الادلة البينة، ص ١٠٢ ؛ ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٧٤ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٩٢؛ ابن أبى دينار ، نفسه ص ١٤٩؛ المطوى نفسه ، ص ٤١٦؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٢؛

Terrasse, Hist, du Marco, p. 59.

(٢) تبرسق : تقع فى الصحراء الفاصلة بين المغربين الأدنى والأوسط الى الجنوب الغربى من الحاضرة تونس ، انظر " (ابن القنفذ ، القارسية، ص ١٩١) .

ثانيا : ابن تافراجين والولايات الجنوبية :

فيما يتعلق بالولايات الجنوبية بإفريقية ، قام الحاجب ابن تافراجين عقب مبايعة السلطان أبي اسحاق بالحاضرة تونس ، بمخاطبة العمال بأخذ البيعة له على من قبلهم ، فبعثوا بها ، وأعلن ابن يملول [٣] والي توزر ، وابن العابد [٤] صاحب قفصة وبنو الخلف [٥] أصحاب نفطة الدخول في الطاعة. وبعثوا بالجباية

---

(١) الأريس : تقع بالصحراء الجنوبية للمغرب الاوسط ، ويذكر الادريسي ان من مدنية الاريس الى باجة مرحلتان ، ويصفها بأنها في وطاء من الأرض ، عليها سور تراب جيد ، وفي وسطها أعين ماء جارية لا تجف ، وشرب أهلها من ماء تلك العيون، وتشتهر بمزارع الحنطة والشعير (الادريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، طبعة ليدن ، ١٨٩٤، ص ١١٧)

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٢٦٤، ابن الشماع ، نفسه ، ص ١٠٢ ، السراج ، نفسه ج٢ ، ١٧٦

(٣) هو يحيى بن احمد بن محمد بن يملول ، ونسبهم في طوالع العرب من تنوخ ، ويذكر ابن خلدون ان بني يملول استقروا بتوزر قاعدة بلاد الجريد (جنوبي افريقيه) منذ اول الفتح الاسلامي ، «وتأثلوا ووشجت بها عروقهم نسبا وصهرا حتى انتظموا في بيوتات الشورى المقدمين للوفادة على الملوك وتلقي العمال القادمين من دار الخلافة. وعندما انقسمت الدولة الحفصية بين الثغور الغربية، والحاضرة تونس وما إليها ، استبد بنو يملول بحكم توزر إلى أن تمكن السلطان أبو بكر الحفصي من. اخضاعهم واعادتهم الى الطاعة (العبر ، ج ٦ ، ص ٤١٢، الزركشي ، تاريخ الدولتين ،ص ٥٦) .

(٤) هو يحيى بن محمد بن علي بن العباد الشريدي ، كان أسلافه أصحاب قفصة ،من بيوتاتها المعروفة ، ونسبهم في بلي ، ولهم حلف في الشريد من بطون بني سليم، ،قد استغلوا ضعف الدولة الحفصية واستقلوا بحكم قفصة الى أن أخضعهم السلطان أبو بكر الحفصي في سنة ٧٣٥هـ. انظر ، (العبر ، ج ٦، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤١٤)

(٥) بنو الخلف : من مدافع ، ونسبهم في غسان من طوالع العرب . انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة إلى نفطة، واستقر بها ، وأصبح لبنيه بها بيت مشهور ، ويذكر ابن خلدون ان امارة نفطه خلال عهد السلطان ابي بكر وبنيه كانت تحت حكم بني مدافع المعروفين ايضا ببني الخلف وكانوا أخوة أربعة هم . مدافع وأبو بكر وعبدالله ومحمد ، وتمكنوا من الاستبداد برياستها زمن الشورى في فترة انشغال الدولة الحفصية عنهم الي أن تمكن السلطان ابو بكر الحفصي من اخضاعهم ، والقضاء على معظم زعمائهم (العبر ، ج ٦، ص ٣٥١ ، ٤١٥)

والهدية، أما ابن مكي[1] صاحب قابس وجربه فقد اعلن التمرد والعصيان، وسخط على الحاجب ابن تافراجين لاستبداده بالسلطان ومنعه من التصرف في أمور دولته. ولوجود منافسة قديمة بينهما منذ عهد السلطان أبي بكر، ولذا كان ابن مكي ينتهز كل فرصة لاقصاء ابن تافراجين عن الحجابة والقضاء على نفوذه في الدولة الحفصية، غير انه لم ينجح في تحقيق هدفه [2].

ثالثا: سياسته نحو امارة قسنطينة

كانت امارة قسنطينة تحت حكم الامير أبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر الحفصي (ابن اخي السلطان أبي اسحاق)، الذي كان يطمع في بسط نفوذه على تونس وتمكن من. إنزال الهزيمة بجيش ابن تافراجين عند بلاد هوارة في سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١ - ١٣٥٢م، ولكنه لم يواصل زحفه الى تونس وقفل بجيشه عائدا الى قسنطينة [3].

وفي سنة ٧٥٣هـ/ ١٥٢ - ١٥٣م عاود الأمير أبو زيد الكرة مرة أخرى وشجعه على ذلك تحريض أحمد بن مكي - العدو اللدود لابن تافراجين - الذي

---

(١) هو أبو العباس احمد بن مكي من. شيوخ قابس، وأميرها الذى استبد بحكمها عند ضعف وانقسام الدولة الحفصية، وينتسب بنو مكى الى قبيلة لواتة البربرية، وجدهم الأعلى هو مكى بن فرح بن زيادة الله اللواتى. وكان بنو مكى هؤلاء، من المقربين للامير أبى زكريا بن عبدالواحد الحفصى مؤسس الدولة الحفصية - ولما اعتزم الامير ابو زكريا الاستقلال بحكم افريقية دخل أبو القاسم عثمان بن مكى فى طاعته وأخذ له البيعة من أهل قابس، فكان له ولقومه بذلك مكانة من السلطان أبى زكريا وخلفائه. انظر: (العبر، ج ٦، ص ٤٢ - ٤٢١).

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٦٤ ٣٦٥؛ الزركشى، نفسه، ص ٩٢؛ عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، نشر مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، بدون تاريخ، ص ٧٩٢؛ برنشفيك، نفسه، ج١، ص ٣ ٢.

(٣) العبر، ج ٦، ص ٣٦٥؛ الزركشى، نفسه، ص ٩٣؛ المطوى، نفسه، ص ٤١٧؛ برنشفيك، نفسه، ج١ ص ٥ ٢.

وفد على الأمير أبى زيد بقسنطينة بصحبة حلفائه العرب من أولاد مهلهل وحثه على الزحف نحو افريقية واسترداد ملك آبائه من. الحاجب ابن تافراجين الذى استبد به واحتازه دونهم ، وبالفعل انقاد الأمير أبو زيد لتحريض حليفه ابن مكى وزحفا الى تونس فى سنة ٧٥٣هـ ، وما ان علم ابن تافراجين بذلك حتى جهز السلطان أبا إسحاق بما يحتاج اليه من الجند والعدة، وعهد بقيادة الجيش لابنه محمد بن عبدالله بن تافراجين ، والتقى الجمعان فى موقعة مرماجنة (١) ، وفيها هُزم جيش السلطان أبى أسحاق ، وولى الأدبار ، وتحصن بالعاصمة تونس التى حاصرها ابو زيد عدة أيام ، ولكنها امتنعت عليه ، فاضطر للعودة الى بلده قسنطينة، خاصة وأنه أحسن بخطر يهدد ولايته ، وذلك من ناحية الأمير أبى عبدالله محمد الحفصى (صاحب بجاية وابن أخى السلطان أبى اسحاق)، وكذلك السلطان أبى عنان المرينى صاحب المغرب الأقصى ، اللذين زحفا نحو قسنطينة للاستيلاء عليها بإيعاز من الحاجب ابن تافراجين وبذلك فشل التحالف بين أبى زيد الحفصى (صاحب قسنطينة) وابن مكى (صاحب قابس وجربه) فى القضاء على ابن تافراجين (٢) .

رابعا: موقفه من الحملة المرينية الثانية على افريقية:

بعد أن خلع السلطان أبو عنان فارس أباه أبا الحسن المرينى واستولى على

---

(١) مرماجنة إحدى مدن بلاد هوارة بصحراء المغرب الاوسط على مقربة من الارس ، ويصفها صاحب كتاب الاستبصار بأنها مدينة قديمة أزلية فيها اثار كثيرة للأول ، واشتهرت بوفرة الخيرات ومزارع القمح والشعير . انظر . (مجهول ، الاستبصار ، فى عجائب الامصار ، ص ١٦٢ ؛ الإدريسى ، نفسه ، ص ١١٨)

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ؛ ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا منشورات دار الكتاب المصرى واللبنانى ، ١٩٧٩ ، ص ٥٧ ، ٥٨ ؛ الزركشى ، نفسه ص ٤١٧ ، ٤١٩ ؛ برشفك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٥ ، ٢٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكم المغرب الاقصى فى سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م ، قرر مد سلطانه الى المغربين الأوسط والأدنى والقيام بغزوة كبرى لبلاد المغرب مثلما حدث فى عهد والده وبالفعل نجح ابو عنان المرينى فى الاستيلاء على تلمسان من أيدى بنى زيان [١] ، ثم زحف الى قسنطينة [٢]، وتمكن من اخضاعها إثر استسلام أميرها ابى العباس احمد الحفصى فى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م ، وعقب ذلك بعث السلطان أبو عنان الى الحاجب ابن تافراجين يدعوه للدخول فى طاعته والتنازل عن تونس ، ورفض ابن تافراجين الاستجابة لمطلب السلطان المرينى ، لأنه يدرك أن خضوعه للمرينيين سيؤدى - حتما - إلى ضياع نفوذه القوي الذى يتمتع به كحاجب للسلطان أبى اسحاق الحفصى ، خاصة وأن تجربته الأولى معهم - فى عهد السلطان أبى الحسن - اثبتت ان سلاطين بنى مرين يميلون الى تولى امور دولتهم بانفسهم ولا يفوضون ذلك لوزرائهم أو حجابهم ، مما يتعارض مع سياسة وطموح الحاجب ابن تافراجين [٣] .

---

(١) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ ، الزركشي ، نفسه ، ص ٩٣ - ٩٤؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٦ ٢٠٧

(٢) كانت إمارة قسنطينة تحت حكم أبى زيد عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر الحفصى ، كما سبقت الاشارة ثم غلبه على حكمها اخوه ابو العباس احمد الذى بويع بها فى سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥ - ١٣٥٦م واضطر أبو زيد للاستقرار فى بونة (عنابة) لفترة قصيرة ، غير انه لم يركن للاقامة بها ، فراسل الحاجب ابن تافراجين فى السماح له بسكنى تونس مقابل التنازل عن بونه لعمه السلطان أبى اسحاق ، فأجابه الى طلبه ، انظر التفاصيل فى (ابن القنفذ، نفسه ، ص ١٨١ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٥٩ - ٦٩٦؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦).

(٣) انظر ابن الحاج ، فيض العباب ، تحقيق محمد بن شقرون ، ص ١٠٦ وما يليها ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٩٦ ٩٧؛ ابن ابى دينار نفسه ، ص ١٤٩؛ المطوى ، نفسه ،ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، وجدير بالملاحظة ان العلاقة بين السلطان أبى عنان المرينى والحاجب ابن تافراجين قد ساءت بسبب رفض ابنه لاسلطان ابى بكر الحفصى الزواج من السلطان المرينى ، ووقوف الحاجب موقفا سلبيا من ذلك ، انظر . (ابن القنفذ، نفسه ، ص ١٧٤) .

وعلى هذا أرسل السلطان أبو عنان جيشا بريا وأسطولا بحريا لمنازلة الحاضرة تونس في شعبان سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، ونصدى لهم ابن تافراجين بقواته [١]، ولكنه أدرك عدم جدوى الاستمرار في المقاومة ، خصوصا عندما بلغه تأهب السلطان أبى عنان للزحف من قسنطينة الى تونس ، ولذا أسرع بالفرار مع بعض أعوانه وخدمه إلى المهدية، وتحصن بها . كما لحق به السلطان ابو اسحاق الحفصى ، الذى هرب مع حلفائه أولاد ابى الليل الى بلاد الجريد ، مما مكن القوات المرينية من دخول تونس ، وتمت البيعة هناك للسلطان أبى عنان المرينى وخطب له على جميع منابر إفريقية عدا المهدية وسوسة وتوزر [٢] .

وفى الوقت الذى اعتزم فيه السلطان أبو عنان التوجه الى تونس حدث تمرد فى جيشه وأسرع جنده بالانسحاب والعودة الى المغرب الأقصى ، ولم يلبث ان لحق بهم أبو عنان مما أدى الى حدوث اضطراب فى صفوف المرينيين بتونس . وساعد على ذلك ايضا ثورة الاهالى ضدهم مما جعلهم يسارعون بمغادره الحاضرة تونس فى سفنهم متجهين الى المغرب الاقصى ، وبذلك اتيحت لابن تافراجين

---

(١) اشارت بعض الروايات إلى أن الحاجب ابن تافراجين تمكن من إنزال هزيمة شنيعة بالاسطول المرينى الذى وصل تونس قبيل الجيش البرى . (ابن الشماع نفسه ، ص ٣ ١، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٦؛ ابن أبى دينار ، نفسه ، ص ١٤٩) ولكن تلك الروايات تتسم بالمبالغه والصواب ما أثبتناه بالمتن - نقلا عن ابن خلدون المعاصر لتلك الحوادث وهو ان ابن تافراجين تصدى للاسطول المرينى ، وصمد فى المقاومة يوما أو بعض يوم ، ثم تغير الوضع بوصول الجيش البرى المرينى ، حيث أدرك ابن تافراجين انه لن يتمكن من مواصلة المقاومة بسبب شده الحصار حول تونس ، ووصل أنباء تفيد بقرب وصول السلطان أبى عنان بعسكره الى تونس ، ولذا فرر الهرب الى المهدية ، والتحصن بها ، ريثما تتحسن الأحوال لمصلحته ويتمكن من العودة الى تونس لاسترداد نفوذه ، انظر : (العبر ، ج ٦٥ ، ص ٣٧ ؛ الزركشى ، نفسه ، ٩٧)

(٢) ابن الحاج ، فيض العباب ، ص ١٧٣ ١٧٤ ؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ٣ ١ - ١٠٤ : ؛ ابن القنفذ ، نفسه ، ص ١٧٥؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٩٧؛ عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، ص ٧٩٢؛ المطوى ، نفسه ، ص ٤٢٩؛ برنشفيك، نفسه ، ح١ ، ص ٧ ٢ - ٨ ٢؛

Encv of Islam. Art Tunis. Vol. IV p 852

الفرصة بالعودة الى تونس مرة أخرى [١] . وجددت البيعة للسلطان أبى اسحاق الحفصى الذى دخل حاضرته فى اوائل ذى الحجة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م ، وهكذا فشلت الحملة المرينية الثانية علي افريقية واستمر الحاجب ابن تافراجين يتمتع بسلطاته المطلقة فى الدولة الحفصية [٢] .

خامسا : سياسته نحو امارة بجاية :

كانت بجاية من الامارات المهمة فى الجزء الغربى من الدولة الحفصية، فهى الثغر الغربي لتلك الدولة خلال عصر الازدهار والقوة ، ولكنها خضعت فى تلك الفترة للمرينيين ، الذين اسندوا حكمها لأحد عمالهم وهو يحيى بن ميمون ، الذى كان مكروها من أهل بجاية لشدته وتعسفه ولذا أخذوا يتحينون الفرصة للتخلص من الحكم المرينى، فاستنجدوا بابن تافراجين بعد انسحاب الجيش المرينى من تونس وعودته الى المغرب الأقصى [٣] .

---

(١) حدير بالاشارة هنا أن الحاجب ابن تافراجين بعد ان غادر المهدية وعاد الى تونس عقب انسحاب المرسين ، استعمل السلطان أبو اسحاق الحصى على مدينة المهدية أخاه الأمير ابا يحيى زكريا الحفصى ، وبعث على حجابته احمد بن خلف من أعوان ابن تافراجين - مستبدا عليه ، ولم يلبث الامسر زكريا الحفصى أن ضجر من استبداد حاجبه عليه ، فقتله ، وتحالف مع احمد بن مكى صاحب قابس ، واسدعاه ليتولى الحجابة له ، فوصل اليه وأعلنا مبايعة السلطان أبى عنان المرينى . مما دفع ابن تافراجين الي ارسال حبشه الي المهدية ، وانتهى الأمر بفرار الأمير أبى يحيى ركريا وحاجبه ابن مكى الي قابس واسترداد ابن تافراجين للمهدية ، انظر : (الزركشى ، نفسه ، ص ٩٨ ٩٩)

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٢؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ٤ ١ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٦ ، محمد الهادى العامرى ، نفسه ، ص ١١ ، برشفنك ، نفسه ، ج١ ، ص ٩ ٢ .

(٣) انظر . العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٣؛ الزركشى ، نفسه ، ص ٩٩، نفسه ، ص ٩٩؛ المطوى ، نفسه ، ص ٤٣٨؛ برشفنك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١

وتمهد الطريق بذلك أمام ابن تافراجين لبسط نفوذه على بجاية واستعادة بعض الاجزاء الغربية التى كانت خاضعة للحفصيين فيما مضى ، وأرسل اليها ابن تافراجين جيشا قويا على رأسه السلطان أبى اسحاق ، وعندما اقترب الجيش الحفصى من مدينة بجاية ثار أهلها على من بها من المرينيين ، وتم اعتقال ابن ميمون - عامل المرينيين بها - وارساله إلى تونس ودخل السلطان أبو اسحاق بجاية في سنة ٧٦١ هـ/ ١٣٦٠م، واستبد بها وتولى شئونها بنفسه ، ومكث هناك خمس سنوات كان حاجبه ابن تفراجين يمده خلالها من تونس بما يحتاج إليه ، وظل ابو اسحاق ببجاية حتى دخلها عليه صلحا الأمير أبو عبدالله محمد بن أبى زكريا بن زيى بكر الحفصى (ابن أخيه) الذى سمح له بالعودة إلى حاضرته تونس فى سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٥م [١] .

سادسا : ابن تفراجين واسترداده جزيرة جربه :

كانت جزيرة جربة خاضعة لنفوذ أحمد بن مكي (قابس وطرابلس) وظلت هكذا ، حتى سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م حيث نقم أهلها على ابن مكى سيرته فيهم ، وبعثوا بذلك سرا الي ابن تافراجين بتونس ، الذى انتهزها فرصة للانتقام من عدوه ابن مكى [٢] فأرسل إلى جربه جيشًا بقيادة ابنه محمد بن تافراجين الذى تمكن من النزول بجربه وحاصر قلعتها حصاراً شديدا ، نتج عنه اقتحامها عنوة ، واستولى بذلك على جزيرة جربة ، وأقام بها دعوة السلطان ابى اسحاق الحفصى ،

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٣؛ ابن القنفذ، نفسه، ص ١٧٦ ؛ الزكشي ، نفسه ، ص ٩٩؛ السراج نفسه، مجلد ٢ ، ص ١٧٧ ؛ المطوى ، نفسه ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩، ٤٤٥ - ٤٤٦؛ برنشفيك ، نفسه ج١ ، ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) أوضح ابن خلدون أن أحمد بن مكى استقر بطرابلس وجعلها دارا لامارته منذ ملكها من ايدى النصارى الجنوية نظير مبلغ من المال ، وذلك فى شعبان سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، انظر التفاصيل فى : (ابن خلدون ، العبر ، ج ٦، ص ٣٧٤ - ٣٧٥؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٤).

ثم غادرها الى تونس بعد أن ترك محمد بـن أبـى العيون واليا عليهـا [١].

س اسهامات ابن تافراجين الحضارية :

اولا : دوره فى تطور خطة الحجابة فى الدولة الحفصية :

أوضح ابن خلدون - المعاصر لتلك الفترة - أن السلاطين الحفصيين احتاجوا بعد اتساع دولتهم وكثرة الخدم والحاشية والمرتزقين بقصرهم الى قهرمان خاص بالقصر السلطاني ، يهتم بالنظر فى أحواله ، ويجريه على قدره وترتيبه وما يحتاج اليه من رزق وكسوة وعطاء ونفقة وغير ذلك ، واطلقوا عليه اسم «الحاجب» واستمر الحال على هذا النحو الى ان أصبح السلطان الحفصى يحجب نفسه عن الناس ، فتطورت خطة الحجابة حينئذ ، وأصبحت واسطة بين السلطان وبين أهل الرتب كلهم ، ثم جاء الحاجب ابن تافراجين فى عهد السلطان أبى بكر الحفصى (٧١٨ - ٧٤٧هـ) وطور تلك الخطة حيث صار له الرأى والمشورة وتدبير شئون الدولة ، ولم يكتف الحاجب الطموح بذلك بل تطلع الى الانفراد بالنفوذ واستحوذ على سلطتى السيف والقلم فى عهد السلطان ابى حفص عمر بن أبي بكر الحفصى ، ثم فى عهد أخيه أبى اسحاق ابراهيم الذى شهد استبداد الحاجب ابن تافراجين بالسلطان الحفصى ، وبلغت خطة الحجابة - آنذاك - أوج الازدهار وذروة النفوذ وأصبح الحاجب هو الوزير الاول فى الدولة ، ويسلم عليه بسلام الملوك [١] ، وهو ما يشبه وزير التفويض فى الشرق الاسلامى فى العصر

(١) العبر ، ٦ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥؛ الزركشى ، نفسه ، ص ١٠١ ، محمد أبو راس الجربى ، مؤنس الأحبه فى أخبار جربة، طبعة تونس ، ١٩٦٠؛ ص ٣ ١ ، هـ١ ، المطوى ، نفسه و، ص ٤٦٦؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢١١. حول علاقة الحفصيين بجزيرة جربة ، راجع التفاصيل فى : (رضوان البارودى ، جزيرة جربة التونسية، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٣٢ ما يليه.

العباسى الاول .

ويتضح لنا مما سبق أن الحاجب بن تافراجين أحدث تطويراً مهماً فى خطة الحجابة واخصاصاتها وجعل منها أرفع خطط الدولة الحفصية على الاطلاق فى تلك الفترة، كما أعاد فى نفس الوقت لشيوخ الموحدين هيبتهم ومكانتهم المرسومة فى الدولة ، وساهم بشكل ملموس فى الحفاظ على التقاليد والمراسم السلطانية [٢] .

ومن جهة اخرى يلاحظ أن ابن تافراجين حمل العديد من الألقاب أثناء فترة حجابته ، والتى تدل على تدرجه فى المناصب وكذلك مدى قوة نفوذه ، ومن ذلك صاحب السفارة، وشيخ الموحدين ، والوزير ، والحاجب والمؤتمن المكين ، وشيخ الحضرة. كما وصف فى الوثائق والمعاهدات بأنه «مصلح الأحوال بعد اختلالها، ومنجح الآمال بعد اعتلالها ... » [٣] .

---

(١) انظر : ابن خلدون ، المقدمه ، ج ٢ ، تحقيق على عبدالواحد وافى ، ط ٣ ، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨١؛ ص ٦٧٢ - ٦٧٣؛ العبر ، ج ٦ ، ص ٣٥٥؛ الادلة البينة، ص ١٠٢؛ محتار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨، ص ١٩٣ - ١٩٥ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ح ٢ ، ص ٣٧، ٤٢

(٢) برنشفيك ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ٣٥ ٦٥ .

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠؛ الأدلة البينة، ص ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٢؛ الفارسية، ص ١٧٤؛ تاريخ الدولتين ، ص ٦٨ ، ٧٧؛ الوشريسى ، المعيار ، ج ٤ ، ص ٢٨٢؛
Amari, Diplomi arabi, pp 98 - 99 & Alarcon Y Linares, los documentos arabes diplomaticos, Madrid, 1940, pp 311 - 312.
وجدير بالاشارة هنا أن شيوخ الموحدين الذين ينتمى اليهم الحاجب ابن تافراجين كانوا يتمتعون بثراء واسع وحياة رغدة ، وكانت لهم اقطاعات ورواتب توزع عليهم اربع مرات فى السنة، علاوة على الغلة التى يفرقها عليهم السلطان عند تحصيل الغلات فى المخازن ، وغير ذلك من الأعطيات والارزاق. راجع التفاصيل في : (ابن فضل الله العمرى ، وصف إفريقية والمغرب والاندلس من كتاب مسالك الابصار، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، بدون تاريخ ، ص ١٨ - ١٩؛ القلقشندى ، نفسه ، ج ٥، ص ١٣٦ - ١٣٧).

ثانيا : ميوله الادبية والشعرية ورعايته للعلم والعلماء :

أمدنا الونشريسي بإشارة قيمة توضح الميول الادبية والشعرية للحاجب ابن تافراجين . فيذكر ان الحاجب بعث الى ابن عرفة شيخ الفقهاء بالحاضرة تونس يمدحه بأبيات ، ومن ذلك قوله :

يا دوحة الأدب المصور فى العـلا　　منك استطبنا الطعم والشموما

أورت زنادك فى العلوم فأصبحت　　تهدى إليك نفائسا وعلومـــا (١)

كذلك هناك بالمصادر ما يفيد بوجود رياض (بستان) للحاجب ابن تافراجين على مقربة من قصبة تونس ، كان يتخذه للراحة وعقد مجالس الأنس مع أصحابه من شيوخ الموحدين وغيرهم من العلماء والأدباء، ولا نستبعد انهم فى تلك المجالس كانوا يتناطرون فى الأدب والشعر والفقه والعلوم الشرعية الاخرى خاصة ، أن شيوخ الموحدين كانوا فى المقام الاول من. العلماء البارزين فى العلوم الدينية (٢) .

ومن ناحية أخرى قام الحاجب ابن تافراجين بدور مهم فى الاهتمام بالعلم وتشجيع طلابه ، عن طريق الأوقاف العديدة التى أوقفها على مدرسته بتونس والتى كانت مقصداً للطلاب والعلماء على السواء (٣) .

---

(١) انظر المعيار المعرب ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

(٢) ابن الشماع ، نفسه ، ص ٩٢ ، ١٠٢ .

(٣) الونشريسي ، المعيار المعرب ، ج ٦ ، ص ٩٨؛ الرصاع ، فهرست الرصاع ، تحقيق محمد العنابى ، تونس ، بدون تاريخ ، ص ١٩٩ .

ثالثا : اعماله العمرانية :

قام الحاجب ابن تافراجين بالعديد من الأعمال العمرانية . ومن ذلك قيامه في عهد السلطان أبى اسحاق ببناء السور البرانى (الخارجى) المحيط بأرباض الحاضرة تونس ، وحبس عليه العديد من الاوقاف لترميمه وتحصينه كلما دعت الحاجة الى ذلك [١]. كما قام بتشييد مدرسه حملت اسمه هى «المدرسة التافراجينيه» [٢]، علاوة على السبيل الذى اقامه بتونس والمعروف بسبيل ابن تافراجين ، وقام بحبس حمام على المدرسة والسبيل وخصص عائده ، لصيانتهما ودفع رواتب من يعمل بهما [٣] .

ولم تقتصر أعماله العمرانية على تونس بل شملت ايضا مدينة المهدية وكانت من الثغور الشرقية للدولة الحفصية وملجأ للحاجب ابن تافراجين وقت الشدة، عندما تحدق به الأخطار بتونس ، ولذا اهتم بتحصينها وتجديد أسوارها وحصونها وشحنها بالأقوات والعتاد [٤] .

ص الحاجب ابن تافراجين وعلاقاته الخارجية (الدبلوماسية):

اقام ابن تافراجين أثناء حجابته للسلطان أبى اسحاق واستبداده بالملك العديد من العلاقات الخارجية وتتمثل فيما يلى .

---

(١) ابن الشماع ، الأدلة البينة، ص ٢ ١؛ ابن أبى دينار، المؤنس، ص ١٤٩، برشفيك ، نفسه ، ح١ ، ص ٣٧٢

(٢) توجد بقايا تلك المدرسة على مقربة من ضريح الشيخ ابراهيم الرياحى بتونس ، وكان بها قبره الذى اندثر الآن (الرصاع ، فهرست الرصاع ، ج ٦ ، ص ٢٠ هـ٢)

(٣) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٧، الونشريسى ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٩٨ .

(٤) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٢؛ برشفيك ، نفسه ، ح ٢ ، ص ٣٤٠

أولا : علاقته مع جمهوريج بيزا :

أبرم الحاجب ابن تافراجين - باسم السلطان أبى اسحاق الحفصى ، معاهدة صلح وسلام مع نيريرجلين Neri Porcellino سفير جمهورية بيزا الايطالية، وذلك فى ١١ ربيع الآخر سنة ٧٥٤/١٦ مايو ١٣٥٣م.

ومما نصت عليه : أن يكون جميع من يصل من التجار البيزيين (البيشانيين) وأتباعهم الى الحضرة العلية (تونس) والى جميع بلادها الداخلة تحت طاعتها آمنين فى أنفسهم وأموالهم ، وعلى ألا يصل الى بلادهم الساحلية ولا إلى جزرهم جفن حربى لضرر من الحضرة تونس مدة هذا الصلح . وأن يكون للتجار البيزيين فى كل بلد من البلاد الافريقية الساحلية المعروفة بنزولهم فيها للتجارة فندق يختصون به لتجارتهم ، ولا يشاركهم فى سكناه غيرهم، ويمكنوا فى كل فندق من الكنيسة التى فيه ، ومن مدفن لموتاهم ومن فرن يختصون به، وأن لهم دخول حمام يختصون به يوما فى الجمعة ، وأن يؤخذ منهم العشر فيما يبيعونه من السلع وأن يحكم قناصلهم فيما ينشب بينهم من منازعات وألا يشتروا ممن يقطع على المسلمين شيئًا من سلع المسلمين أو من أسراهم ، وألا يضروا بأحد من أهل البلاد الافريقية أو من أعمالها ، وإذ حدث ضرر بأحد منهم فعلى حاكمهم وقناصلهم الانصاف من ذلك والقبض على الجانى [١] .

ثانيا : علاقته مع مملكة أرغون (أراجون Argon)

كذلك عقد ابن تافراجين باسم السلطان أبى اسحاق - معاهدة صلح وسلام لمدة عشر سنوات مع الفارس فرنسيس سكوسطه (Frances Sacosta) سفير

---

(١) راجع التفاصيل فى :

Amari, op. cit, pp. 98 - 111 & Mas Latrie, Traites de paix et du commerce, Paris, 1886, pp. 56 - 65.

بدرو الرابع (Pedro IV El Ceremonioso) ملك أراجون فى ٢٥ صفر سنة ٧٦١هـ/ ١٥ يناير ١٣٦٠م .

ومن نصوصها المهمة : أن يكون الصلح شاملا لبلاد الحضره تونس أو البلاد التابعة لها براً وبحرا وأن كل مسلم يسافر من الحاضرة تونس أو من البلاد التابعة الخروج من بلاده إلى بلاد الحضرة (تونس) «بسبب القطع فى جفن من الأجفان ...» كما منحت تلك المعاهدة للأراجونيين حق مهاجمة السفن القشتالية فى سواحل افريقية وميناء تونس ، واحتجاز من فيها من أشخاص وأمتعة وعلاوة على ذلك التزم السلطان الحفصى بمقتضى تلك المعاهدة ولمدة عشر سنوات ، بدفع ضريبة سنوية لملك أراجون قدرها ألفا دينار من الذهب ، كما نصت المعاهدة على بناء فنادق للتجار الأراجونيين ويكون لهم قناصلهم بتونس وسائر بلادها التى تحت طاعتها ، وألا يؤسر أحد من الحاضرة تونس أو من أعمالها ببلاد ملك أراجون من المسلمين أو اليهود بعد عقد هذا الصلح [1] .

وهناك رسالة بعث بها الحاجب ابن تافراجين الى بدرو الرابع ملك أراجون فى ٢٧ جمادى الاخرة سنة ٧٦١هـ/مارس ١٣٦٠ يخبره فيها بنقض أحد رعاياه الميورقيين للصلح ، بقيامه (فى نفس السنة) بأعمال القرصنة فى المياه التونسية ومهاجمته لسفن فى ميناء كل من تونس وسوسة ونهبه ما فيها من

---

(١) انظر برنشفيك ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ،

Alarcon Y Gracia de linares, Los documentos arabes Diplomaticos del archivo de la corono de Aragon, Madrid, 1940, pp 311 - 314. Isidro de las cagigas, un traite de Paix, Hesperis, 1934, pp 65 - 77, Cronica de la corona de Aragon, publicado por conde de castellano, zaragoza, 1919, p 272, Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, Madrid pp 814 - 820 & Vives, op cit pp 142 - 144

بضائع وأمتعة وعدة ، رغم اخباره بمعاهدة الصلح والسلام المبرمة بين الطرفين ، وطلب الحاجب من الملك بـدرو معاقبته ورد ما سلبه المعتدى من مال وسلع ، ورغم تلك الحادثة الا انها لم تعكر صفو العلاقات الودية بين الدولة الحفصية ومملكة أراجون (١) .

ومن جهة أخرى نلاحظ ذيوع صيت ابن تافراجين في بلاط ملك أراجون، فتذكر وثائق أرشيف تاج أراجون أن الملك بدرو الرابع كان يوصى مبعوثيه الى الحاضرة تونس دائمًا بالحرص على مقابلة الحاجب ابن تافراجين ، ويطلب منه بدوره الاعتناء بسفرائه ومساعدتهم فى القضايا التى جاءوا لبحثها مع السلطان الحفصي (٢) .

ثالثا : علاقته مع بني الاحمر ملوك غرناطة :

أشارت المصادر العربية الى وجود علاقة صداقة ومودة بين الحاجب ابن تافراجين والسلطان محمد الخامس الغنى بالله بن الاحمر صاحب مملكة غرناطة ، فيذكر ابن الخطيب ان الغنى بالله سلطان غرناطة بعث برسالة ودية الى الحاجب ابن تافراجين فى سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م يخبره فيها بالحوادث التي وقعت آنذاك - بمملكة غرناطة وخاصة الانقلاب الذى تزعمه محمد بن اسماعيل بن نصر احد أقربائه - ثم تمكنه من العودة الى الحكم ، واستقراره على عرش مملكة غرناطة، كما دعا الحاجب فى رسالته بالعمل على استمرار العلاقات الطيبة الوطيدة التى

---

(١) برنشفيك ، نفسه ، ص ٢١٣؛
Alarcon Y Linares, op. cit, pp. 324 - 325

(٢) Vives, op.cit., pp. 133 - 134.

تربط بين الدولة الحفصية ومملكة غرناطة منذ القديم [١].

هـ - وفاة ابن تافراجين ودور اسرته في الدولة الحفصية .

توفى الحاجب عبدالله بن تافراجين بسبب الطاعون فى ربيع الاول سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م [٢]. وكان قبيل وفاته مباشرة قد ارتبط بالسلطان ابى اسحاق الحفصى برباط المصاهرة حيث تزوج السلطان من ابنه الحاجب فى صفر سنة ٧٦٦هـ «واحتفل لذلك غاية الاحتفال» [٣] .

وعقب وفاة الحاجب ابن تافراجين استقل السلطان ابو اسحاق ابراهيم بأمور دولته ، وباشرها بنفسه وكان «كمحجور أطلق يده وصيه» ، وفى تلك الاثناء كان القائد محمد بن عبدالله بن تافراجين غائبا عن تونس على رأس العسكر يقوم بالجباية عندما بلغه نبأ وفاة والده فأوجس خيفة وصرف الجند الى تونس

---

(١) راجع نص الرسالة فى : ابن الخطيب ، ريحانة الكتاب ، مجلد ١ ، تحقيق محمد عبدالله عنان، نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥٠١ ٥٠٧؛ المقرى نفح الطيب ، ج ٩، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٥٨ ٦٣، انظر أيضا محمد الهادى العامرى ، تاريخ المغرب العربى ، ص ١١٢ ، برشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢١٣؛

Gaspar Remiro, Correspondencia diplomatica entre Granada Y fez, 1910, pp 343 - 347 & Mujtar Al-Abbadi, El Reino de Granada en La epoca de Muhammed V, Madrid, 1973, p. 116.

(٢) دفن الحاجب عبدالله ابن تافراجين فى مدرسته الواقعة بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة بتونس وحضر دفنه السلطان ابو اسحاق ، انظر : (الزركشى ، نفسه ، ص ١٠١، السراج، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٧٧) .

(٣) ابن الشماع ، نفسه ، ص ١٠٥ ؛ الزركشى ، نفسه ، ص ١٠١ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢، ص ١٧٧ ؛ ابن ابى دينار ، نفسه ، ص ١٥٠

وأخذ يعرض نفسه على حواضر إفريقية - مثل المهدية وجربه وغيرهما - والتى كان يظن أنها على طاعته ، إلا أنه لم يلق القبول ، وصده ولاتها ، ثم بعث اليه السلطان أبو اسحاق يطمئنه ويستميله ، وأعطاه الأمان مما أدى الى سرعة عودته الي الحاضرة تونس فتلقاه السلطان بالترحاب والاكرام وقلده حجابته خلفا لوالده [١].

ولم تلبث العلاقات ان ساءت بين السلطان أبى إسحاق وحاجبه محمد بن تافراجين لانكاره مباشرة السلطان للناس ورفعه للحجاب ولما ألفه من الاستبداد والنفوذ منذ عهد أبيه ، فأظلم الجو بينه وبين السلطان ، ومما ساعد على ذلك أيضا تدخل الوشاة والمنافسين للحاجب محمد بن تافراجين في البلاط الحفصى، ونتج عن ذلك فرار الحاجب ابن تافراجين الى قسنطينة حيث استقر عند السلطان - أبي العباس احمد بن محمد بن أبى بكر الحفصى ، وأخذ يحرضه على غزو تونس ويرغبه في ذلك ، موضحا سهولة الاستيلاء عليها . وقد رحب السلطان أبو العباس به ، ووعده بالنهوض معه الى افريقية عقب فراغه من حربه ضد ابن عمه الأمير أبى عبدالله الحفصى صاحب بجاية [١] .

وعقب انتهاء السلطان أبى العباس صاحب قسنطينة من فتح بجاية فى شعبان سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥ - ١٣٦٦م . أرسل إلى تونس جيشًا بقيادة أخيه أبى يحيى زكريا (صاحب بونة) وبصحبته محمد بن تافراجين ونازلها الجيش عدة أيام، ولكنها امتنعت عليه ، واضطروا الى فك الحصار والانسحاب بعد عقد السلم والمهادنة مع السلطان أبى اسحاق

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ ؛ الفارسية ، ص ١٧٦ ؛ الزركشي ، نفسه ، ص ١٠١ - ١٠٢ - برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢١٣ .

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٨؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ١٠٦؛ الزركشي ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤٧٠ .

ولحق ابن تافراجين بالسلطان أبى العباس أحمد بقسنطينة [١] .

وفى سنة ٧٧٠هـ/١٣٩٦م توفى أبو اسحاق سلطان تونس ، وخلفه ابنه ابو البقاد خالد الثانى الذى كان قليل الخبرة بأمور الحكم ، ولذا خرجت عن طاعته العديد من الولايات . وأرسل أمراء العرب ببلاد قسطيلية (جنوبى افريقية) الى السلطان أبى العباس (صاحب قسنطينة وبجاية) يستحثونه لبسط سلطانه على تونس ، فرحب بذلك ، وبعث اليهم فى البداية بالقائد محمد بن عبدالله بن تافراجين لأخذ بيعتهم ، فدخل فى الطاعة بحيى بن يملول صاحب توزر والخلف بن الخلف صاحب نفطة، وأصبح الطريق بذلك ممهداً أمامه لغزو تونس وإفريقية [٢] .

وفى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م تمكن السلطان أبو العباس أحمد الحفصى من الاستيلاء على تونس واعتقال صاحبها أبى البقاء خالد بن أبى اسحاق الحفصى، وارساله فى سفينة إلى إحدى مدن ساحل المغرب الأوسط ، تمهيداً لنقله الى قسنطينة ، غير انه غرق فى البحر . وعقب استقرار السلطان أبى العباس بالحاضرة تونس قلد خطة الحجابة لأخيه الأمير أبى يحيى زكريا ، وجعل القائد محمد بن تافراجين رديفا له مكافأة على خدماته [٣] .

ولم تلبث العلاقات ان تدهورت بشكل خطير بين السلطان ابى العباس وحاجبه محمد بن تافراجين بعد أن نمى إلى علمه عن طريق الوشاة ان ابن تافراجين اتفق سراً مع العرب فى الخروج عليه ومهاجمة الحاضرة تونس [٤] . وعلى هذا أمر السلطان بالقبض على الحاجب ابن تافراجين ، وارساله إلى قسنطينة، وظل

---

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨١، الزركشى ، نفسه ، ص ١٠٣ ، المطوى ، نفسه ، ص ٤٧١

(٢) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ ٣٨٣ ، الزركشى ، نفسه ، ص ١٠٥

(٣) الأدلة البينة ، ص ١١ . برنشفيك ، نفسه ، ج١ ص ٢١٨ ٢١٩

(٤) فى الحقيقة انا لا نستبعد صحة الوشايات التى أبلغت للسلطان أبى العباس ضد حاجبه ابن تافراجين خاصة وأن هذا الحاجب كان يطمح مثل والده فى السلطة والانفراد بالنفوذ فى الدولة، ولكنه لم يجد السبيل الى ذلك نظراً لحزم السلطان أبى العباس وقوة بأسه

معتقلا بها إلى أن توفى فى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦ - ١٣٧٧م) [١] .

وبعد نكبة الحاجب محمد بن تافراجين ظهرت فى البلاط الحفصى بتونس شخصية أخرى تنتسب الى تلك الأسرة ونعنى بذلك : الشيخ ابو عبدالله بن ابى العباس أحمد بن تافراجين (ابن أخى الحاجب الشهير عبدالله بن تافراجين)، الذي حل مكان ابن عمه فى بلاط السلطان أبى العباس الحفصى . فيذكر ابن القنفذ - المعاصر له - ان السلطان ابا العباس «رتب مجلسا جليلا ، واختص خواص فى مجلسه يتسابقون الى نصحه» ، ويضيف بأن الشيخ أبا عبدالله بن تافراجين كان يقرر فى ذلك المجلس أصول المسائل السلطانية» ويذكر العادة فيما التبس منها اذا سئل عنها بعقل وافر .... » [٢] .

وفى عهد السلطان أبى فارس عبدالعزيز بن أبى العباس الحفصى (٧٩٦ - ٨٣٧هـ/١٣٩٤ - ١٤٣٤م) استمر بنو تافراجين فى خدمة الدولة الحفصية، فيفيد ابن القنفذ بأن السلطان أبا فارس عقب استيلائه على قسنطينة فى رمضان سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م عين عليها مولاه القائد نبيل ، وجعل على قصبتها الشيخ أبا الفضل أبا القاسم بن أبى عبدالله بن أبى العباس أحمد بن تافراجين، الذى لازم القصبة وحسنت سيرته فى أهل قسنطينة، فحظى بمحبتهم لتدينه وعدله، ولكنه لم يستمر بها طويلا اذ لم يلبث أن بعثه السلطان أبو فارس في سنة ٨ هـ/١٣٩٧ - ١٣٩٨م رسولا الى بجاية [١] ، ثم عاد عقب ذلك الى تونس

== وتوليه تدبير أمور دولته بنفسه ، مما يصعب على الحاجب تحقيق طموحه الشخصى ، حصوصا وانه لم يكن فى مثل هيبة ودها ، والده الذى كان يمتاز ببعد النظر والخبرة بأمور السياسة والحكم ، انظر : (ابن الشماع ، نفسه ، ص ١١٠ ؛ المؤنس ، ص ١٥١؛ المطوى ، نفسه ، ص ٤٨٦ - ٤٨).

(١) العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٣ ٣٨٤؛ ابن الشماع ، نفسه ، ص ١١٠ ، السراج ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ١٨ ؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) الفارسية ، ص ١٧٧ .

واستقر بها فى خدمة السلطان أبى فارس [٢].

وبوفاة الشيخ أبى القاسم بن تافراجين - على الأرجح فى أواخر عهد السلطان أبى فارس - ينتهى دور تلك الاسرة التافراجينية الشهيرة، التى لعبت دوراً مهما وخطيرا فى تاريخ الدولة الحصية خاصة خلال القرن ٨هـ/١٤م .

---

(١) كانت إمارة بجاية فى تلك الفترة تحت حكم القائد ظافر ثم عزله السلطان أبو فارس ، وولى عليها أخاه الأمير زكريا (صاحب بونة) ثم استولى عليها الأمير أبو عبدالله محمد بن أبى يحيى زكريا (ابن عم السلطان أبى فارس) الذى عقد عليها لابنه محمد المنصور، غير أن السلطان أبا فارس تمكن من استردادها وولى عليها ابن أخيه الأمير أبا العباس أحمد بن أبى عبدالله الحفصى . انظر . (الزركشى ، نفسه ، ص ١٢٤ ، برنشفيك ، نفسه ، ج ١، ص ٣٤٣).

(٢) الفارسية ، ص ١٩٤، الزركشى ، نفسه ، ص ١١٩؛ مبارك الميلى ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، نشر مكتبة النهضة الجزائرية ، ١٣٥٠هـ ، ص ٣١٥؛ المطوى ، نفسه ، ص ٥٥٩؛ برنشفيك ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٣٤ .

ثبت بأسماء ما وصل إلينا من أفراد اسرة بنى تافراجين
من خلال المصادر العربية

١ - أبو حفص عمر بن تافراجين (جد بنى تافراجين) ت سنة ٥٤٩هـ .

٢ - عبدالله بن عمر بن تافراجين (كان حيا سنة ٥٨٠هـ) .

٣ - عمر بن عبدالله بن تافراجين (كان حيا سنة ٥٩١هـ)

٤ - عبدالعزيز بن تافراجين (كان حيا سنة ٦٢٦هـ)

٥ - عبدالحق بن تافراجين (كان حيا سنة ٦٨١هـ)

٦ - أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٠٣ هـ)

٧ - محمد بن عبدالعزيز تافراجين

٨ - عمر بن عبدالعزيز بن تافراجين ـ عاشا فى أواخر السابع وأوائل الثامن الهجرى

٩ - أبو العباس احمد بن احمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت ٧٤٧هـ).

١٠- أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت ٧٦٦هـ) .

١١- محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٧٨هـ)

١٢-أبو عبدالله بن أبى العباس أحمد بن تافراجين (كان حيا سنة ٧٩٦هـ).

١٣- أبو الفضل أبو القاسم بن أبى عبدالله بن أبى العباس أحمد بن تافراجين (عاش فى أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الهجرى) .

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية القديمة :

١ - ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، ص ٣ ، تونس ، ١٣٨٧هـ.

٢ - الإدريسى : صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والاندلس ، من كتاب نزهة المشتاق، طبعة ليدن سنة ١٨٩٤م.

٣ - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الامصار ، تحقيق طلال حرب، بيروت سنة ١٩٨٧.

٤ - البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

٥ - البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، طبعة باريس ، نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ ، طبعة عبدالحميد جاجيات ، الجزائر سنة ١٩٧٤ .

٦ - ابن تغزى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج ٣ ، تحقيق د. نبيل عبدالعزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٨٥.

٧ - التجانى : رحلة التجانى ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٥٨ .

٨ - ابن الحاج النميرى : فيض العباب وافاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، تحقيق محمد بن شقرون ، الرباط سنة ١٩٨٤.

٩ - ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ج ١ ، طبعة دار الجبل، بيروت ، بدون تاريخ

١٠ الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت، ط ٢، ص ، سنة ١٩٨٤ .

١١ - ابن الخطيب : ريحانه الكتاب ونجعة المنتاب ، تحقيق عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٢ ابن الخطيب : اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، طبعة لجنة احياء التراث بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠م .

١٣ ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا منشورات دار الكتاب اللبنانى المصرى ، ١٩٨٩م.

١٤ ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخبر ، طبعة بيروت ، ١٩٧٩م.

١٥ - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبدالواحد وافى ، نشر دار نهضة مصر ، ط ٣ ، سنة ١٩٨١م.

١٦- الرصاع : فهرست الرصاع ، تحقيق محمد العنانى ، نشر ، المكتبة العتيقة، تونس ، بدون تاريخ .

١٧- الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة، تونس ، ١٩٦٦.

١٨ السراج الأندلسى : الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، تحقيق الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨٤.

١٩- السلاوى الناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، الدار البيضاء ١٩٥٤.

٢٠ ابن الشماع : الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر المعمورى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٩٨٤.

٢١ - ابن فضل الله العمرى : وصف افريقية والمغرب والاندلس من كتاب مسالك الابصار ، تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب ، مطبعة النهضة، تونس ، بدون تاريخ .

٢٢ - القلقشندي : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

٢٣ - ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، تحقبق محمد النيفر وعبدالمجيد التركى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨ .

٢٤ - محمد أبو راس الجربى : مؤنس الأحبة فى أخبار جربه ، طبعة تونس ، ١٩٦٠ .

٢٥ - المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣.

٢٦ - المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٢٧ - المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعى، بيروت ، ١٩٨٩ .

٢٨ - مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ، تحقبق سعد رغلول عبدالحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨.

٢٩ - النباهى المالقى : تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا ، طبعة بيروت ، ١٩٨٣ .

٣٠ - الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ، نشر وزارة الاوقاف المغربية ١٩٨١ .

٣١ - يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد ، تحقيق عبدالحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٨ م .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة والمعربة :

١ أحمد مختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الاولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨م.

٢ برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهد الحفصى ، ترجمة حمادى الساحلى، نشر دار المغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣ جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الاسلامى ، ترجمة محمود هيكل ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩١ .

٤ جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، ج ٢ ، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة ، تونس ، ١٩٧٨ .

٥ - حسن حسنى عبدالوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٧٦ .

٦ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، نشر مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية، بدون تاريخ .

٧ - رضوان البارودى (دكتور) : جزيرة جربة التونسية، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠ .

٨ - روجى لى تورنو : حركة الموحدين فى المغرب ، ترجمة امين الطيبى ، الدر العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٢ .

٩ - عبدالعزيز بنعبد الله (دكتور) : الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية (معلمة المدن والقبائل) ، مطبوعات وزارة الاوقاف المغربية، ١٩٧٧ .

١ - عبدالوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، ج ١ ، المطبعة المكية ، الرباط ، ١٩٦٨ .

١١ - عز الدين موسى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب الاسلامى ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ .

١٢ - مبارك الميلى : تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، نشر مكتبة النهضة ، الجزائر ، ١٣٥٠ .

١٣ - محمد المنونى (دكتور) : علاقات المغرب بالشرق ايام السلطان ابى الحسن، بحث بكتاب ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ، الرباط ، ١٩٧٩ .

١٤ - محمد العروسي المطوى : السلطنة الحفصية ، نشر دار الغرب الاسلامى، بيروت ، ١٩٧٦ .

١٥ - محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى ، نشر الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٧٤ .

١٦ - هوبكنز : النظم الاسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، ترجمه أمين الطيبي ، نشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٧٧ .

ثالثا : المراجع الاجنبية :

1. Agudo Bleye: Manual de historia de Espana t I Madrid. 1947.

2 . Ahmad Mujtar Al - Abbadi . El remo de Granada en la epoca de Muhammad V. Madrid 1973

3. Alarcon Y Gracia de linares: Los documentos arabes diplomaticos de archivo del la corona de Aragon, Madrid. 1940.

4. Alfred Bel. Les Benau Ghanya. paris 1903

5. Amari: Diplomi arabi dell archivio Fiorentio. Firenze. 1863.

6. Cronica de la corona de Aragon Y Granada. Barcelonam 19098.

7. Encyclopedia of Islam. Art. Tunis Vol. IV. London 1913.

8. Gaspar Remiro: Correspondenecia dipomatica entre Granada Y Fez en El siglo XIV. Granada. 1910.

9. Gimenez Soler: La Corona de Aragon. barchelona. 1908.

10. Isidro delas Cagigas: Un traite de paix entre le roi pirre IV de Aragon et le Sulatan de Tunez. Hesperis. XIX. 1934.

11 Josefa Mutge Vives Algunas noticias sobre la relaciones entre la corona catalano-aragonesa Y el reino de Tunez, en Actas del cologuio, Madrid, 1988.

12 Mas Latrie Traites de paix el du commerce concernait les relations des chertiens avec les arabes de l Afrique Septentrionale au moyen-age, paris 1886.

13 Terrasse Histoire du Maroc., Casablanca.

البحث الثاني
تاريخ مدينة طرطوشة الاسلامية وحضارتها
فى عصر دويلات الطوائف
(القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادي)

مقدمة .

فى الحقيقة أن المعلومات التى وصلتنا عن مدينة طرطوشة في العصر الاسلامي سواء اكانت تتعلق بتاريخها السياسى أو بمظاهرها الحضارية شحيحة للغاية . فلم يرد فى المصادر الإسلامية أو الإسبانية عن طرطوشة الإسلامية سوى شذرات قليلة مبعثرة فى بطون المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم والطبقات . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن طرطوشة كانت في العصر الإسلامي بلدا متوسط القدر . ولم تكن من بين المدن الكبرى أو القواعد البارزة فى الاندلس مثل قرطبة ،طليطلة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة وبلنسية ومرسية، التى أسهبت المصادر فى الحديث عن تاريخها السياسى والحضارى ، ثم انها لم تضطلع بدور سياسى هام فى تاريخ الاندلس سوى فى عصر دويلات الطوائف (القرن ٥هـ/ ١١م) ، وإن كان هذا الدور يبدو أيضا محدودا جدا بالمقارنة بدور جيرانها من دويلات الطوائف الاخرى فى شرق وشمال شرق الأندلس مثل سرقسطة ،بلنسية ومرسية ودانية

ومن الأسباب أيضا التى أدت إلى عدم اهتمام المؤرخين المسلمين بتلك المدينة موضوع البحث رغم موقعها الجغرافى والاستراتيجى المتميز قرب ساحل البحر المتوسط ، وفى مواجهة الممالك الاسبانية المسيحية فى الشمال ، أن طرطوشة كانت طوال عصر الدولة الأموية مجرد ولاية أو مدينة ثغرية تابعة للحكومة المركزية بقرطبة . وكانت تدخل إداريا فى نطاق الثغر الأعلي وقاعدته مدينة سرقسطة ، التى سلطت عليها الأضواء فى المصادر الأندلسية ، وحظيت

باهتمام المؤرخين المسلمين القدامى منهم والحديثين ، وكذلك الباحثين الإسبان الذين اهتموا بدراسة تاريخها الإسلامى الوسيط وتتبع مسارها الحضارى طيلة العصر الاسلامى ، ومن جهة أخرى فإن دثور العمران الاسلامى وضياع كل أثر لمنشآتها فى العصر الإسلامى كان من أسباب اغفال الباحثين عن دراستها

وعلى هذا النحو انصرف الباحثون عن دراسة تاريخ طرطوشة فى العصر الإسلامى ، الأمر الذى دفعنى الى اختيارها بالذات موضوعا لهذا البحث أملا فى أن أسلط بعض الأضواء على دورها السياسى على الأخص فى عصر دويلات الطوائف (القرن ٥هـ/ ١١م) ، عندما اصبحت مقرا لاحدى دويلات الطوائف ، ونعمت فى ظلها لأول مرة بالاستقلال عن الحكومة الأموية المركزية بقرطبة ، كما حرصت فى نفس الوقت على الاشارة إلى بعض مظاهر الحضارة الإسلامية فيها مثل العمران وعناصر المجتمع ومظاهر الحياة الاقتصادية ، والحركة العلمية والأدبية ، ولعلى بذلك البحث قد أسهمت اسهاما يسيرا لسد ثغرة فى تاريخ هذه المدينة الإسلامى بوجه خاص وتاريخ الأندلس بوجه عام .

(١)

الخصائص الجغرافية لمدينة طرطوشة

تقع مدينة طرطوشة (بالاسبانية Tortosa) في شمال شرق الأندلس جنوبي طركونة Tarragona ، وشمال بلنسية Valencia ، وجنوب شرقي سرقسطة Zaragoza قاعدة الثغر الأعلى [١]، موفية على الضفة الغربية لنهر إبره (Ebro) ، قرب ساحل البحر المتوسط ، وإن كان المصادر الجغرافية تعدها إحدى قواعد منطقة شرق الأندلس [٢] .

وطرطوشة من المدن القديمة في الأندلس ، فهي من بنيان الرومان ، وكان يطلق عليها في العصر الروماني Dertosa Julia Augusta ، وامتازت في

---

(١) ابن حيان ، المقتبس (قطعة تعلق بعهد الأمير عبدالرحمن الاوسط وابنه محمد) تحقيق محمود مكي ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٣ ، ص ٤١٦ ، هـ ١٨ ، محمد الفاسي ، الاعلام الجغرافية الاندلسية ، مجلة البينة ، السنة الأولى ، عدد ٣ ، الرباط ، يوليو سنة ١٩٦٢ ، جـ ٢٧ ٢٨

Levi-Provencal, Encyclopedie de L'Islam, art . Tortosa, IV, Paris, 1934, p. 856

(٢) انظر الرازي ، وصف الأندلس ، نشر ليفي بروفنسال في :

Al-Andalus, Vol. XVIII, Madrid, 1953, p. 72.

ابن حيان ، قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الامير عبدالله) ، تحقيق اسماعيل العربي ، المغرب سنة ١٩٩٠ ، ص ١٢٨ ، المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ، سنة ١٩٦٣ ، ص ٤٦١ ، ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، تحقيق شوقي ضيف ، طبعة دار المعارف ص ٤٢٣ ، مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ح ١ ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٨٣؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٥ ، تحقيق نبيل الخطيب، بيروت سنة ١٩٨٧ ، ص ٢٢٥ .

العصرين الروماني والاسلامى بأنها ذات حصانة طبيعية بوقوعها على سفح جبل يسمى الكمين [١] .

وتفيد المصادر العربية بأن طرطوشة كانت فى بدايه العصر الاسلامى مدينه من أعمال كورة (أى اقليم) البرتات الذى كان يضم من المدن أيضا طركونه ويرشلونة [٢] ، ومع انها وردت فى المصادر العربية على أنها مدينة إلا أنها كانت مع ذلك أقرب ما تكون إلى الكورة لاتساعها واشتمالها على حصون وقرى وبلدان تابعة لها . فابن غالب يشير إلى أن لها حصون كثيرة وأقاليم واسعة، ويضيف ياقوت أن لها ولاية واسعة [٣] .

ويمتدح الجغرافيون المسلمون الموقع الجغرفى المتميز لمدينة طرطوشة القزوينى يذكر انها مدينة برية وبحرية ، بمعنى انها ذات خطة واسعة ويتبعها أراض زراعية تغذيها بالمؤن والمحاصيل ، وأن لها أيضا فرضة على البحر تصلح لرسو السفن ، مما يكسبها أهمية فى مجال التجارة البحرية [٤]

---

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، مجلد ٢ ، نشر مكتبه الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٥٥ . الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، جـ ٢ ، بيروت سنة ١٩٨٤، ص ٣٩١ ، شكيب ارسلان ، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الاندلسية ، ج٣، القاهرة سنة ١٩٣٩، ص ٨ ، الفاسى ، نفسه ، ص ٢٧

(٢) الادريسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٣٨، محمد الفاسى ، نفسه ، ص ٢٢ ، ٢٨

(٣) انظر : ابن غالب الأندلسى ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع مجله معهد المخطوطات العربية ، ج٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٢٨٦، ياقوت الحموى ، معجم البلدان، ج ٤ ، طبعة دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣، ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٣ ، نشر ليفى بروفنسال وكولان ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٤، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، نشر الدار السعودية ، جده ، سنة ١٩٨٥، ص ٥٦٥ ، ٥٧٦

(٤) الرازى ، وصف الاندلس ، نشر ليفى بروفنسال فى . Al Andalus, p 72

القزوينى ، آثار البلاد وإخبار العباد ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ ، ص ٥٤٤ ، حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ٧ ٨ سنة ٥٩ ١٩٦ م ، ص ٢٦٣

وكان لوقوعها أيضا على الطريق الأعظم (Via Augusta) المعروف فى المصادر العربية بالمحجة العظمى ، أعظم الأثر فى ظهورها منذ قيام الدولة الأموية فى الأندلس كقاعدة لغزاة البحر الأندلسيين الذين كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص قبل أن تصطنع الدولة الأموية منذ الغارة النورماندية على سواحل الأندلس الجنوبية سياسة بحرية . ومن المعروف أن المحجة العظمى تبدأ من مدينة قادس (Cadiz) فى جنوب غربى الأندلس ، وتمر بإشبيلية وقرطبة وسرقسطة وطرطوشة ثم بأربونة حاضرة إمارة سبتمانيا جنوبى بلاد غالة [١] .

---

(١) الرازى ، نفسه ، نشر ليفى بروفنسال فى : Al-Andalus, p. 72

وانظر ايضا : عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج١ ، بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ١٦٤ ، سحر سالم ، مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للاندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية سنة ١٩٩ ، ص ١٣١ .

M J. Rubiera, La Taifa de Denia, Alicante, 1985, p. 11

(٢)

طرطوشة كثغر وقاعدة للاسطول الاندلسى
فى عصر الدولة الاموية

كانت طرطوشة [١] فى عصر الدولة الامية فى الاندلس إحدى مدن الثغر الاعلى (ويطلق عليه أيضا الثغر الأقصى أو الثغر الشرقى) وقاعدته مدينة سرقسطة، وعرفت طرطوشة فى كثير من المصادر الإسلامية بأنها قاصية الثغر الأعلى [٢] ، وقاصية أرض الاندلس الشرقية ومنقطع دعوة الإسلام بالأندلس[٣] .

ونظرا لأهمية موقعها الجغرافى وخطورته فى مواجهة الممالك الاسبانية

---

(١) لم تشر المصادر الاسلامية أو المسيحية إلى الفتح الاسلامى لمدينة طرطوشة ، ولكن يمكن أن نستنتج مما ذكره ابن عذارى بأ فتح طرطوشه تم على الأرجح على يد موسى بن نصير فى سنة ٩٤هـ/٧١٣ ٧١٤م ، فتفيد الرواية الاسلامية وكذلك الاسبانية المسيحية بأن موسى عقب لقائه مع قائده طارق بن زياد عند طليطلة تقدم إلى سرقسطة فافتتحها ، كما افتتح ما حولها من مدن وحصون ومن ناحية اخرى ألمحت احدى الحوليات المسيحية إلى أن القائد موسى بن نصير هو الذى قام بفتح منطقة وادى إبره التى تقع بها طرطوشه

انظر . (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢، نشر كولان وليفى بروفنسال ، ج ٢ ، بيروت سنة ١٩٨م ، ص ١٦ .

María J. Viguera, Aragón musulmán, Zaragoza, 1981, pp. 27 - 29

(٢) ابن حيان ، المقتبس (قطعة خاصة بعهد الخليفة الناصر) ، ج ٥ ، تحقيق شالميتا ،كورينطى ، مدريد ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ ، ١٩٨ ، ٢٥٣ ، ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ،ق ٢ ، نشر ليفى بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٥٦ ، ص ١٩٨.

M. J. Rubiera, La taifa de Denia, p. 24

(٣) ابن حيان، قطعة من المقتبس ، تحقيق اسماعيل العربى ، ص ٧٥ ، ١٢٨

المسيحية فى الشمال ، وقرب سواحلها النسبى من بلاد الفرنجة ، فقد كانت موضع اهتمام امراء بنى أمية وخلفائهم منذ عهد الامير عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية فى الاندلس ، فقد كان معظم ولاة طرطوشة ومدن. الثغر الأخرى خلال ذلك العصر من رجال الحرب أو أرباب السيف ، ممن يتميزون بالكفاية الحربية ، يؤكد ذلك ما ذكره ابن الأبار بأن تمام بن علقمة ولى طرطوشة ووشقه [١] وطرسونة [٢] ، فى عهد الامير عبدالرحمن الداخل ، وكان قبل ذلك يتولى الحجابة للامير وكان تمام هذا من موالى الأمويين المخلصين وأحد الذين ساعدوا الأمير عبدالرحمن فى تأسيس الدولة الأموية فى الأندلس ، كما أظهر براعة حربية فى القضاء على الفتن والثورات التى نشبت فى عهد الأمير عبدالرحمن الداخل [٣] .

كذلك تولى حكم تلك المنطقة الثغرية الامير عبدالله الملقب بالبلنسى ابن

---

(١) وشقة (بالاسبانية Huesca) : تقع فى منطقة شمال شرق الاندلس ، وكانت إحدى مدن الثغر الأعلى ، على مسافة تبعد نحو خمسين ميلا شرقى سرقسطة، وكانت فى العصر الاسلامى مدينة حصينة متحضرة ومزدهرة اقتصاديا ، انظر (العذرى ، نصوص من كتاب ترصيع الأخبار، تحقيق عبدالعزيز الأهوانى نشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٥٥ ، الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٣٣ ، الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، ص ٦١٢'

(٢) طرسونة (بالاسبانية Tarazona) : إحدى مدن الثغر الأعلى ، وتقع الى الشمال من طرطوشة على مقربة من مدينة تطيلة ، وبينهما مسافة إثنا عشر ميلا ، وكانت طرسونة فى بداية عصر الدولة الاموية مستقر العمال والقواد بالثغر ، وعندما ازداد عمران تطيلة واتسعت وكثر اهلها صارت طرسونة من أعمالها انظر ، (البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجى ، بيروت سنة ١٩٦٨، ص ٩١؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٧ الحميرى نفسه ص ٣٨٩)

(٣) الحلة السيراء ، ج١ تحقيق حسين مؤنس القاهرة ، سنة ١٦٣ ، ص ١٤٣ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج٢ ، ص ٤٨

الامير عبدالرحمن الداخل ، فيذكر ابن حزم انه تولى بلنسية وتدمير وطرطوشة وبرجلونة ووشقة أى منطقة شرق وشمال شرق الاندلس ، بمعنى ان ولايته شملت ايضا قطاعا من منطقة الثغر الأعلى الاندلسى فى مواجهة مملكة نبرة Navarra الاسبانية المسيحية [١] .

وعقب وفاة الأمير عبدالرحمن الداخل فى سنة ١٧٢ هـ/ ٧٨٨م ، ونشوب الصراع بين ولديه هشام وسليمان حول إمارة الاندلس ، سادت الفتن والاضطرابات مدن الثغر الاعلى ومن بينها طرطوشة ، فتشير المصادر إلى أن سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصارى ثار بطرطوشة والثغر الاعلى واستولى علي تلك المنطقة فى أوائل عهد الأمير هشام الرضا ، ثم اعقبه مطروح بن سليمان الأعرابى الذى تغلب علي الثغر الأعلى فى سنة ١٧٢هـ ، وبعد ذلك خضعت تلك المنطقة للثائر خلف ابن راشد الذى بسيط نفوذه على الثغرين الأعلى والأوسط فى شنة ١٨٦هـ/ ٨٠٣م، واتصل ملكه سنوات عديدة [٢] .

وفى عهد الأمير الحكم الاول المعروف بالربضى بن هشام الرضا (١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢م) تعرض ثغر طرطوشة لهجمات الفرنجة ، ففى سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ ميلادية قام الفرنجة بقيادة لذريق بن قارله (أى لويس التقى بن شارلمان Louis Le piex) صاحب امارة اقطانية Aquitania بمهاجمة منطقة الثغر الأعلى وخص مدينة طرطوشة بهذا الهجوم فأقدم على حصارها وشدد عليها

---

(١) انظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٩٤؛

Huici Miranda Historia Musulmana de Valencia, t. I. Valencia, 1969 p 120

(٢) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٦ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢

M.J Viguera, Aragon musulman, pp 51 - 52, 57

، مما دفع الامير الحكم الربضى الى ارسال حملة بقيادة ابنه عبدالرحمن الذى انضمت اليه ايضا قوات الثغر الأعلى بقيادة عبدون والى طرطوشة وعمروس الوشقى المولد والى سرقسطة ، ودارت بين المسلمين والفرنجة معركة ضارية انتهت بهزيمة الفرنجة واضطر لذريق الى الانسحاب عائدا إلى بلاده بعد أن قتل معظم عسكره [١] .

ومنذ عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢م) أصبح ثغر طرطوشة قاعدة من قواعد الأسطول الاندلسى ، فقد اختص الأمير عبدالرحمن ذلك الثغر بعنايته ، وأمد عبيد الله بن يحيى [٢] ، والى ثغر طرطوشة - آنذاك - بالأموال والجند لحراسة حصونه وترميمها ، كما سير اليه فرقة من الفرسان الخرس [٣] لمساعدته فى حماية منطقة الثغر الأعلى ، ويذكر ابن

---

(١) انظر : ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠، ابن عذارى نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٢؛ ابن خلدون، العبر، مجلد ٤ ، ق ١ ، طبعه بيروت سنة ١٩٨٣، ص ٢٧٦، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٢٦؛ محمد الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس، الاسكندرية سنة ١٩٨١ ، ص ١٧٢، ٢٣٣، كمال أبو مصطفى، المولدون فى منطقة الثغر الأعلى الأندلسى ، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية ، العدد الاول سنة ١٩٨٨ ، ص ٤٥٧؛

Levi - provencal, Histoire de L'Es pagne musulman, t I, Paris, 1950, p. 184 & M.J Viguera, Aragon musulman, p. 59

(٢) هو عبيد الله (أو عبد الله كما عند العذرى وابن عذارى) بن يحيى بن خالد كان من وزراء الأمير عبدالرحمن الأوسط ، كما تولى طرطوشة (من أعمال الثغر الأعلى) فى عهده ثم فى عهد ابنه الأمير محمد الذى أسند اليه القيادة بمنطقة الثغر الأعلى عقب عزله لموسى بن قسى المولد ، وكان عبيد الله بن يحيى هذا من القادة المخلصين لبنى أمية .

انظر : (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٤١٥ ، هـ ١٧؛ ابن عذارى نفسه ، ج٢، ص ٩٧ ؛ كمال أبو مصطفى ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٥)

(٣) يقصد بالخرس هنا المماليك الصقالبة ويطلق عليهم أيضا الفتيان والمجابيب والعلوج. وسموا بالخرس لعجمتهم ، وقد بدأ استخدام هؤلاء المماليك الصقالبة منذ عهد الأمير الحكم الربضى على الأرجح ثم ارداد عددهم بدرجة كبيرة فى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم ==

حيان ان ابن يحيى والى طرطوشة بالثغر الأعلى قام - بتشجيع من الأمير عبدالرحمن الأوسط - باجراء القطائع على جنده ، كما صرف لهم «الرواتب والنفقات والعلوفات . .» مما فى يده من مال السلطان ، وذلك لتقويتهم على عدوهم ، ويضيف ابن حيان بأن ذلك العمل بالثغر وأهله يعتبر من جلائل مناقب الأمير عبدالرحمن الأوسط [١] .

ونستدل من المصادر العربية وجود جماعات بحرية اندلسية فى منطقة الساحل الشرقى وخصوصا بساحل طرطوشة وبلنسية ، وكانت تلك الجماعات تخضع إما لوالى طرطوشة أو للقائد الأعلى لمنطقة الثغر الاعلى وقاعدته مدينة سرقسطة ، وكانت مهمتها حماية السواحل الشرقية من هجمات أو غارات المسيحيين ، كما كانوا يقومون فى نفس الوقت بالتجارة البحرية ، وبنشاط بحرى كبير فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، وشن غارات على السواحل الفرنجية (أى سواحل الدولة الكارولنجية) ، فهناك ما يفيد بقيام الأمير عبدالرحمن الأوسط بحشد اسطوله فى طرطوشة وبلنسية وأن هذا الأسطول ظل يوالى هجماته على سواحل الدولة الكارولنجية (أو الرومانية المقدسة) بجنوبى بلاد غالة ، مما ساعد على القضاء على قواعد المقاومة المسيحية بتلك المنطقة ، وبالتالى تمتعت سواحل طرشوشة والثغر الأعلى بالهدوء والأمن والطمأنينة [٢] .

== المستنصر واعتمد عليهم الإمويون فى الجيش والادارة واستخدم الخصيان منهم فى حدمة الحريم بالقصور راجع (ابن حيان ، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٤٢٦ ، هـ ٤٠ المقرى، نفح الطيب ، تحقيق يوسف البقاعى ، دار الفكر ، بيروت سنة ١٩٨٦ ، ص ٣٢٧٠ محتار العبادى ، الصقالبة فى إسبانيا ، مدريد سنة ١٩٥٣ ، ص ٩ هـ ٠ عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين ، واثارهم ، ص ٣٦٧٠

(Levi Provencal Histoire t III pp 172 179)

(١) انظر المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٦ ٧

(٢) ابن حيان ، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢ ، ٣ ، ٦ ٠ مختار العبادى ، وعبدالعزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ج ٢ ، نشر مؤسسة شباب الجامعة . ===

ويلاحظ انه كان لتلك الجماعات البحرية بساحل طرطوشة مراس ورباطات، فالمصادر الجغرافية تشير إلى وجود رباطات ساحلية قرب طرطوشة ، وكانت هذه الرباطات بمثابة محارس ومواضع للرباط والجهاد في سبيل الله ، ورد الاعتداءات البحرية التي كان يوجهها اعداء المسلمين على السواحل الأندلسية [١] .

ومن المرجح أن ثغر طرطوشه تعرض في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م) لاحدى غارات النورمانديين (أو المجوس كما يطلق عليهم في المصادر العربية) أثناء غاراتهم على السواحل الغربية والشرقية في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م بدليل ما يذكره الحميري بأن هناك موضعا بساحل طرطوشة يسمى القبطيل أو العسكر، كان يقع عند مصب وادي طرطوشة (نهر إبره) في البحر . وهو موضع عسكر به المجوس واحتفروا حوله خندقا ظل اثره باق لفترة طويلة . ولعل نزول النورمانديين أو المجوس بساحل طرطوشة وقع عقب اغارتهم على ساحل تدمير (مرسية) بشرق الاندلس في طريقهم نحو بلاد الفرنجة [٢] .

= بدون تاريخ ، ص ١٤٩ ؛ ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦ ، ص ٢٩٩ - ٢٣ ؛ شكيب ارسلان، تاريخ غزوات العرب، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٥٠ ، ١٥٦ .

(١) انظر الادريسي ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ؛ الزهري ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق سنة ١٩٦٨ ، ص ٣ ١

(٢) انظر ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٥٤ ، شكيب ارسلان ، نفسه ، ج ٣، ص ٧ هـ ١ . وراجع التفاصيل حول تلك الغارة النورماندية على الاندلس في (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ص ٧ ٣ ٨ ٣ . العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ٣١ ؛ ابن عذاري ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٦ ؛ حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، نشر دار المستقبل ، القاهرة، ١٩٨ ، ص ٣ ١ ٣ ؛ عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الاول القسم الاول نشر مكتبة الخانجي ح ٣ ، القاهره ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٩٦ ٢٩٧ ؛

(Levi Provencal, Histoire t I pp 31 311)

وفي عهد الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م) ازدادت حالة التفكك والتمزق السياسي في الاندلس، وأخذ معظم الولاة والقادة العسكريين في الاستقلال بما تحت أيديهم من ولايات ومن ذلك ثغر طرطوشة الذي استقل به بنو المهاجر التجيبيون [1]، الذين بسطوا نفوذهم ايضا على سرقسطة خلال ذلك العهد، ويؤكد ذلك قول الرازي ان محمد بن عبدالرحمن بن المهاجر التجيبي دخل سرقسطة متوليا حكمها من قبل الامير عبدالله في سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م، لمواجهة خطر بني قسي المولدين الذين اعلنوا التمرد والعصيان انذاك بمنطقة الثغر الاعلى [2].

وفي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) ازدادت أهمية طرطوشة كقاعدة بحرية رئيسية في الساحل الشرقي للاندلس، فقد أنشأ بها دارا لصناعة سفن الاسطول في سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م، وبرزت طرطوشة في عهده ثغرا هاما وقاعدة بحرية من الطراز الأول، لا سيما انها كانت تتمتع بميناء صالح لرسو السفن، وتتوفر بها اخشاب الصنوبر اللازمة لصناعتها. وكان المسلمون يخرجون من ميناء طرطوشه في الاسطول لغزو سواحل برشلونة وبلاد الفرنجة. وقد وصلت الينا في المصادر العربيه اشارات عديده الى خروج قائد الاسطول محمد بن رماحس للغزو منها إلى بلاد الفرنجة. ويضيف ابن

---

(١) ينتسب بنو المهاجر الى قبيلة تجيب العربية، وبدأ ظهورهم على مسرح الحوادث بمنطقة الثغر الاعلى منذ عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الاوسط و فيذكر العذري انه لما ثار بنو قسي من المولدين على الامير محمد بثغر سرقسطة ولّى بأسا، عبدالعزيز بن المهاجر التجيبي ببني اليه قلعة ايوب ([illegible]) وأسند ولايتها الى عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن المهاجر، وعهد اليه هو وقومه من بني المهاجر بمهمة محاربة بني قسي المولدين الذين خرجوا عن طاعته واستقلوا بالثغر الأعلى. راجع التفاصيل في (العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤١ وما يليها. عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس ٢ ٢٥٨)

(٢) العذري، نفسه، ص ٤١ - ٤٢، مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، ج ١ نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد سنة ١٩٨٣، ص ١٥٥

حيـان بأن اسطول المرية كـان إذا خرج منها للغزو يرسو عند عـودته بسـاحل ثغر طرطوشـة ، لحـين تأتيـه الأوامـر من الخليـفـة الناصـر بالاتجاه إلى مناطق اخرى للمشـاركـة فـي محاربة اعداء الدولة سواء في بلاد النصـارى أو فـي بلاد المغرب [١] .

وكان من مظاهر اهتمـام الخليفة لناصر بثغر طرطوشة ان قام بزيارته في سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠ - ٩٤١م - عقب شكوى أهل طرطوشة من ثقل المغارم - أي الضرائب المفروضة عليهم ، حيث أمر بالتخفيف عنهم وعدم ارهاقهم بالضرائب، واسقط عنهم الزكاة والصدقات ، وكتب لهم عـهدا بذلك ، ولعل الدافع الى ذلك هو احساس الخليفة الناصر بخطورة موقع بلدهم ، وقربهم من بلاد العدو المسيحى «شديد الشوكة» على حد قول المؤرخ ابن حيـان ، خاصة وأن ثغر طرطوشة كان يقع - كمـا سبقت الاشارة - في قـاصيـة اراضي الإسلام في الاندلس ، وفي مواجهة مملكتي قطالونية ونبرة [٢] .

---

(١) انظر . ابن حيان ، قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الخليفة الناصر) ج ٥ ، تحقيق بدروشالميتا وكورينطي ، مدريد سنة ١٩٧٩ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ؛ العذرى ، نفسه ، ص ٨١ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المريه ، الاسكندرية سنة ١٩٨٤ ، ص ٣٦ - ٣٧، مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية سنة ١٩٦٨ ، ص ٢٤٦.

Levi - Provencal, Inscriptions arabes d'Espagne. Paris. 1931 pp 83 - 84 & M.J. Rubiera, La taifa de Denia, p. 26

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ج ٥ ، نشر شالميتا وكورينطي ، ص ٤٦٨ ؛

(Maria J. Rubiera, op cit, p. 24)

(٣)
طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف

بدأت طرطوشة تظهر على مسرح الحوادث فى الأندلس مع بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، أى منذ اندلاع الفتنة القرطبية وتدهور الخلافة الأموية ، وقيام دويلات الطوائف فى الأندلس . غير أنه من الملاحظ إن امارة طرطوشة فى عصر الطوائف كانت إمارة صقلبية ضعيفة الشأن فى شرق الأندلس ، ولم يكن لها دور سياسى مؤثر فى حوادث تلك المنطقة بالمقارنة بالدور الخطير الذى لعبته دويلات الطوائف الصقلبية الأخرى مثل بلنسية ودانية والمرية ومرسية.

وعلى أية حال لم يكد ينتهى عهد المظفر عبدالملك بن المنصور بن أبى عامر بوفاته فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م وتولية أخيه عبدالرحمن شنجول الحجابة للخليفة هشام المؤيد ، حتى بدأت فترة من أسوأ الفترات التى عرفها تاريخ الأندلس منذ الفتح الاسلامي ، حيث حاول شنجول أن يدعو لنفسه بالخلافة مما أدى إلى قيام الثورة ضده ، وانتهى الامر بمقتله وسقوط الدولة العامرية فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، وكان ذلك ابذانا بنشوب فتنة مأساوية عرفت فى المصادر الإسلامية بالفتنة القرطبية ، التى انتهت بسقوط الخلافة الأموية فى الأندلس فى سنة ٤٢٢هـ / سنة ١٠٣١م وقيام عصر جديد يعرف بعصر دويلات الطوائف أو عصر الفرق ، والذى يبدأ فعليا مع مطلع القرن ٥ هـ/ ١١م ، ويمثل بداية انهيار دولة الإسلام في الاندلس [١] .

---

(١) راجع التفاصيل حول فترة الفتنة القرطبة وقيام دويلات الطوائف فى (ابن عذارى ، نفسه ، ح ٣ ، نشر ليفى بروفنسال ، ص ٢٥٣ وما يليها ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ ، ص ١٢٦ وما يليها ، عبدالعزير سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٤٧ ،ما يليها ، العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧ ==

ويصور ابن بسام سنوات الفتنة القرطبية تصويرا صادقا بقوله أنها «كانت شدادا نكدات صعابا مشئومات .... قبيحة المنتهى والخاتمة ، لم يعدم فيها حيف ... ولا تم سرور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ...» ، وقد نتج عن تلك المأساة التى بدأت سنة ٣٩٩هـ أن استغل الأمراء والقادة - من العرب والبربر والصقالبة - الفرصة وأعلنوا استقلالهم بما تحت ايديهم من مناطق ، فاقتسموا خطط الأندلس وتغلب بعضهم على بعض ، مما كان له أثره الكبير فى اضعاف قوى الاسلام فى الأندلس ، وبالتالى إزدياد أطماع النصارى الإسبان فى بلادهم [(١)] .

ولعل أول إشارة وردت إلينا عن طرطوشة أثناء الفتنة القرطبية ترجع إلى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م ، أى مع بداية نشوب الفتنة، فقد خرج إليها واضح الصقلبى[(٢)] عندما ترك

== - ٩٥ ، عنان نفسه ، العصر الاول ، ق ٢ ، ص ٦٤٢ وما يليها ،

H. Mones, Essasi sur la chute du Califat umayyade, de cordoue, le Caire, 1984, pp 248 - 599 & Levi - provencal, Histoire, t. II, pp. 311 - 341).

(١) انظر : ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ مجلد ١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، طبعة بيروت ص ٤٢٠ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٢ وما يليها ، عبدالحليم عويس ، ابن حزم الأندلسى ، القاهرة ، حـ ٢١ ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٢ - ٢٣ ، الطاهر مكى ، دراسات أندلسية ، ط ٣ ، دار المعارف سنة ١٩٨٧ ، ص ٢٦٦؛

H. Mones, Consideraciones sobre la epoca de los reyes de taifas, Al-Andalus, Vol, XXXI, Madrid, 1960. pp. 319 - 320 & AFIF Truk, El reino de xaragoxa, madrid, 1978, p 16.

(٢) هو واضح الصقلبى أو الفتى ، أحد موالى المنصور بن أبى عامر وإبنه المظفر عبدالملك، ومن أبرز الفتيان العامرية فى عهد الأخير . كان قائدا لمنطقة الثغر الأعلى واشترك فى العديد من غزوات المظفر ضد الممالك الاسبانية المسيحية. ويعد مقتل شنجول ساهم واضح فى حوادث الفتنة القرطبية، فكان فى البداية من انصار محمد بن هشام بن عبدالجبار المهدى الذى ولاه طليطلة والثغر الأوسط ثم انقلب عليه وقام بقتله واعلن توليه الحجابة للخليفة هشام المؤيد ، وكان = =

مدينـــة سالم [١] ، عقب هزيمته أمام جيش البربر بقيادة سليمان المستعين، فما كاد يصل إلى طرطوشة حتى بعث إلى الخليفة المستعين بقرطبة يلتمس الصفح والأمـــان . وفى نفس الوقت أرســـل إلى نصـــارى برشلونة يطلـــب منهم المساعدة ضد المستعين والبربر نظير تخلية لهم عن مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط فى الأندلس . ووافق ريمنده (رامون بوريل الثالث Ramon Borreel III) صاحب برشلونة واخوه أرمـقند (ويسـمى فى المصـادر الاسـبانيـة Armengol conde de Urgel) على ذلك العرض المغرى [٢]، مما يدل على ان زعمـاء الفتنة القرطبيـة - ومنهم الفتى واضح الصقلبى - لم يهتمـوا بالمصلحة العليا لدولة الاسلام فـى الاندلـس ، وانما اهتمـــوا بمصالحهم الذاتية ، وفـــى سبيل ذلك استعانـــوا علي بعضهم البعض بالنصـــارى الاسبـــان

-- = واضح الصقلبى هذا من إكبر المناوئين للخليفة سلمان المستعين ، حلفائه البربر ، ظل كذلك إلى أن قتل فى سنة ١ ٤هـ/ ١٠١١م على يد ابن وداعة صاحب شرطة الخليفة هشام المؤيد بقرطبة انظر (ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٥ ٦ ، ١١ ، ٥ ١٠ . عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٣٨ . ٣٤ ، ٣٤٨ ٣٤٩)

(١) مدينة سالم (بالاسبانية Medinaceli) كانت فى عصر الدولة الأموية قاعدة الثغر الأوسط فى الأندلس ، لمواجهتها مملكة قشتالة المسيحية، وهى تقع فى الشمال الشرقى من مجريط (مدريد) على الطريق بين مجريط وسرقسطة ، قام ببناء تلك المدينة سالم بن ورعمال المصمودى أحد القادة البربر الذين دخلوا الاندلس مع الفتح الاسلامى ، ولذا نسبت اليه ويصفها الإدريسى بأنها مدينة جليلة عامرة تقع فى أرض سهلة ، وتمتاز بكثرة البساتين انظر (المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٥١٤ هـ ٢٦٨ ، نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ ، محمد الفاسى ، الأعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٣١)

(٢) انظر . ابن عدارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٣ ٩٤ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، آثارهم ، ص ٣٥٢ ٣٥٣ ، سحر سالم ، تاريخ بطليوس الاسلامية ، ج ١ ، الاسكندرية سنة ١٩٨٩ ، ص ٣٥٥ ٣٥٦ .

Aguado Bleye Manual de historia de España, t. I, Madrid, 1947 pp 506 507 & A.H. Fink op cit. p 45

تحقيقا لمطامعهم الشخصية ورغبتهم في النفوذ والسلطان دون أدنى اعتبارات دينية أو اخلاقية .

وكيفما كان الأمر فإن الفتى واضح الصقلبى لم يستمر طويلا بطرطوشة، فلم يلبث أن غادرها فى نفس السنة (٤٠٠هـ) إلى طليطلة ليجتمع بها مع ابن عبدالجبار المهدى ، ولحقت بهما هناك قوات حلفائه نصارى برشلونة ، استعدادا لمنازلة جيش الخليفة المستعين والبربر بالحاضرة قرطبة [(١)] .

ونتيجة لاضطراب الأحوال بالحاضرة قرطبة والحروب المستمرة بين سليمان المستعين وخصمه المهدى آثر الفتيان الصقالبة (العامرية) النجاة بأنفسهم ، ومغادرة الحاضرة قرطبة والاتجاه الى بلاد شرق الاندلس حيث أسسوا عدة دويلات طائفية صقلبية فى المرية ودانية وبلنسية ومرسية وطرطوشة ، وكان من دوافع نزوحهم الى شرق الاندلس بالذات ، ما تميزت به تلك المنطقة من هدوء واستقرار نسبى بعيدا عن أجواء الفتنة المحتدمة بقرطبة [(٢)] ، ومن ناحية أخرى يشير ابن عذارى إلى أن محمد بن هشام بن عبدالجبار المهدى لما استولى على الحكم بقرطبة سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٩م انقلب على الطائفتين الصقبلية والبربرية واتخذ جنداً من العامة واراذل الناس وقربهم إليه ، «فاستوحشوا منه» ، واضطر الصقالبة (العبيد العامرية) إلى مغادرة قرطبة واللحاق بشرق الأندلس [(٣)].

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٤ .

(٢) انظر ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ، ١١٥ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية، ص ٥٩ لطفى عبدالبديع، الإسلام فى اسبانيا ، القاهرة ، ط ٢ سنة ١٩٦٩ ، ص ٣٧؛ كمال ابو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٨١ ، ص ٥٦ ، ٦١؛

H, Miranda, Historia musul . de valencia, t. I, p. 136 David Wasserstein, The rise and fall of the party kings, New Jersey 1985, p 100 & M.J. Rubiera, La taifa de Denia, p . 61

(٣) البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٨٢ ٨٣

ويضيف ابن الخطيب سببا آخر وهو أنه لما دخل سليمان المستعين قرطبة فى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م قرب إليه البربر ، فخشى الصقالبة من ذلك ، وآثروا الفرار والالتجاء إلى شرق الاندلس حيث الأمن والطمأنينة [١] .

وتشير المصادر العربية إلى أن مجاهدا العامرى أول من استقل بطرطوشة فى بداية الفتنة وعصر الطوائف فيذكر ابن خلدون أن مجاهدا العامرى خرج من قرطبة فى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠ واتجه إلى طرطوشة واستولى عليها ، ثم لم يلبث أن غادرها وانتقل إلى دانية واستقل بها [٢] .

وعقب ذلك تولى لبيب الصقلبى [٣] (العامرى) حكم طرطوشة وكان أحد الفتيان أو الموالي العامرية الذين اشتركوا فى مبايعة عبدالرحمن (الرابع) بن

---

(١) اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر : العبر ، ج ٤ ، منشورات مؤسسة الأعلى ، بيروت سنة ١٩٧١، ص ١٦٤ ، مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ج ١ ، ص ١ ٢ ، ٢١٧

(٣) جدير بالملاحظة هنا إن بعص الباحثين خلطوا بين لبيب الصقلبى الذى حكم طرطوشة فى أوائل عصر الطوائف وبين رميله بيل الصقلبى الذي حكم طرطوشة بعد ذلك بعد سنوات

فيرى الباحث الاسبانى بريتو إى بيبس والباحثة الايطالية كليليا سارنللى أن نبيلا الصقلبى هو الذى استقل بطرطوشة منذ بداية عصر الطوائف (أوائل القرن ٥ هـ / ١١م) ويستند فى رأيهما هذا على أنه لم يعثر على عملة تحمل اسم الفتى لبيب ، وأن العملات التى عثر عليها انما تحمل اسم نبيل فحسب غير أنى لا أتفق مع أصحاب هذا الرأى خاصة وأن معظم مؤرخى تلك الفترة وعلى رأسهم ابن حيان الذى ينقل عنه ابن بسام وابن عذارى علاوة على ديوان الشاعر ابن دراج القسطلى - المعاصر لتلك الفترة كلهم قد أجمعوا على أن لبيبا الصقلبى هو أول من استقل بحكم طرطوشة فى بداية عصر الطوائف وهو ما أثبتناه بالمتن . انظر (ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكى ، ط ٢ ، دمشق سنة ١٣٨٩هـ، ص ٩٠ بالحاشية، (ابن بسام، نفسه، ق٣مجلد ١ ، ص ٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٤ ، ٣٩٢، ابن الخطيب نفسه ، ق ٢ ، ص ١٩٨ ، ٢٥٩ ، وقارن أيضا بما ورد فى : مختار العبادى ، الصقالبة فى اسبانيا، ص١٩، كليليا سارنللى ، مجاهد العامرى ، ص ١١٨ ، ١٦١؛

(Prieto y Vives, Los reyes de taifas. Madrid. 1926. p. 37 - 39)

محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمرتضى بالخلافة في شرق الأندلس حيث كان يقيم بألبونت (Alpuente) - شمال غرب بلنسية - وذلك في سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م (وقيل في سنة ٤٠٧هـ) غير أن محاولة الفتيان العامرية باءت بالفشل بعد الهزيمة النكراء التي منى بها المرتضى وأشياعه بظاهر غرناطة على أيدي البربر بقيادة زاوي بن زيري الصنهاجي ، وفيها لقي المرتضى مصرعه في سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م [١] .

وحرص لبيب الصقلبي على توطيد علاقته مع جيرانه الأقوياء وخصوصا مع مبارك الصقلبي [٢] صاحب بلنسية ، ويبدو أنه كان يدين له بنوع من التبعية

---

(١) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ١ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٦ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، نشر محمد يوسف الدقاق ، بيروت سنة ١٩٨٧ ، ص ٩٩، ان الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، مجلد ٣، تحقيق عبدالله عنان ، القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ص ٢٨٧ ، ان خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ١٦٤ ، عبدالعزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٤ - ٦٥ ، رضوان البارودي ، الفهريون في المغرب والأندلس ، دار نشر الثقافة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٦ ، ص ٤٦

Prieto y Vives, op.cit. pp. 37 - 38 & H. Miranda op.cit., t. I, p 241.

(٢) هو مبارك الخصي الصقلبي أحد الموالي العامرية بشرق الأندلس وكان في بداية أمره عبدا لمفرج العامري مولى المنصور بن أبي عامر ثم تولى مع زميله مظفر الصقلبي، وكالة الساقية ببلنسية عند نشوب الفتنة، ولم يلبث أن ضرب الدهر ضرباته على حد قول ابن حيان فقضى لهما بالامارة هناك ، وظل مبارك يتولى مع زميله مظفر - حكم بلنسية حتى مات في سنة ٤٠٨ أو سنة ٤٠٩هـ/١٠١٧ - ١٠١٨م (راجع التفاصيل في : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ مجلد ١ ، ص ١٣ الى ٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام، ق ٢ ، ص ٢٢٥ ، العبادي ، الصقالبة ، ص ٢١ ، كمال ابو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية ، ص ٦٣ - ٧١ ؛

(H. Miranda, op.cit, t I pp. 149 - 153.

حتى يسانده في مواجهة عدوه المتربص به وهو منذر التجيبى [1] صاحب سرقسطة الذى كان يتطلع الى الاستيلاء على إمارة طرطوشة . فابن الخطيب يذكر أن لبيبا الصقلبى فر إلى بلنسيه واستنجد بأميرها مبارك الصقلبى عندما استولى منذر التجيبى على طرطوشة وضمها إلى سرقسطة . وفعلا زحف معه مبارك على رأس قوة من خمسمائة فارس من صفوة جنده ، وأنزلوا الهزيمة بمنذر التجيبى ، وأعاد مبارك بذلك إمارة طرطوشة إلى حليفه لبيب الصقلبى [2] .

ونستنتج مما سبق أن السبب فى مبادره مبارك لنجده لبيب الصقلبى يرجع إلى كونهما ينتميان إلى طائفة واحدة وهى طائفة الصقالبة أو الموالى العامرية، التى كانت تحرص على تدعيم نفوذها بمنطقة شرق الأندلس فى مواجهة أطماع العنصر العربى ممثلا فى التجيبيين أصحاب سرقسطة ، الذين كانوا يطمعون فى توسيع رقعة إمارتهم ومد سلطانهم الى طرطوشة وبلنسية ، ومن جهة أخرى فإن استيلاء منذر التجيبى على طرطوشة جعل منطقة نفوذه تقترب جدا من أراضى امارة بلنسية الخاضعة لمبارك ومظفر .

وتشير بعض المصادر إلى أن لبيبا الصقلبى كان موصوفا بالحزم والدهاء

---

(١) هو أبو الحكم منذر (الأول) بن يحيى التجيبى كان فى بداية أمره رجلا من عرض الجند ثم برقى الى القيادة بالثغر الأعلى (سرقسطة) ، فى أواخر عهد الدولة العامرية ، وازداد نفوذه خلال الفتنة القرطبية فأقره سليمان المستعين على ولاية بلده سرقسطة فى سنه ٣ ٤هـ/١٣ ١م وظل يحكمها هى و الثغر الأعلى حتى وفاته سنة ٤١٤ هـ سنة ٢٣ ١م ١٢٤م وخلفه ابنه يحيى ، انظر : التفاصيل عنه فى . (ديوان ابن دراج ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢ ١ الحاشية ، ابن بسام ، نفسه ، ق ١ مجلد ١ ، ص ١٨٠ ، ١٨٥ ١٨٦ ، ابن عذارى ، نفسه ج ٣ ، ص ١١٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٣٩
Prieto Y Vives, op cit, pp 43, 125 & AFIF Turk, op cit, pp 39 10

(٢) انظر : ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٥٩ ٢٦

والسياسه ، ولذلك استطاع ان يحتفظ بحكمه لإمارة طرطوشة الضعيفة عدة سنوات ، رغم قلة مواردها [١] ولم يكتف بذلك ، بل امتد نفوذه أيضا الي بلنسية امتره قصيرة فيذكر ابن بسام نقلا عن ابن حيان - المعاصر لتلك الحوادث انه عقب موت مبارك صاحب بلنسية (سنة ٤٠٨ أو سنة ٤٠٩هـ) ، قام أهلها بدعوة حليفه لبيب صاحب طرطوشة إلى حكم بلدهم ، ولكنه أساء السيرة فيهم مما ادى الى ثورة البلنسيين عليه ، فاضطر للفرار إلى بلده طرطوشة ، في حين تولى مجاهد العامري حكم بلنسية بالاضافة إلى امارته بدانية ، غير ان مشايعة لبيب الصقلبي لريمنده (Ramon Borrell) صاحب برشلونة المسيحي وحرصه على مودته والتقرب اليه حتى جعل نفسه كأحد عماله أدى أيضا الى ثوره أهل طرطوشة عليه ، فقاموا بخلعه ، وقيل قضوا عليه ، واستنجدوا بمنذر الأول النجيبي [٢] صاحب سرقسطة ، فأسرع اليهم وضم طرطوشة إلى إمارته، وحقق بذلك هدفه الذي كان يسعى اليه منذ سنوات دون صعاب ، غير أن ذلك

---

(١) تجدر الاشارة هنا الى ان الشاعر ابن دراج القسطلي ، وفد على أمراء الطوائف الصقالبة بشرق الاندلس ، ومنهم لبيب الصقلبي صاحب طرطوشة ومدحه بقصيدة طويلة منها

هل أبصرت عيناك بدرا طالعا	في الأفق إلا من هلال غارب
والله من يعدى علىك خليفة	وخليفة هديت إليه مذاهبي
ـــى وبينك أن يلبي دعوتي	داعي لبيب من مناخه ركائبي

ثم يذكره ابن دراج بما يربط بينهما من خدمة الدولة العامرية فيقول

واذكره بشوافع من عامر	تزرى بكل قرابة ومناسب

وعلى الرغم من ذلك المديح الا ان ابن دراج لم يظفر من لبيب أو غيره من الأمراء الصقالبة بطائل انظر القصيدة في (ديوان ابن دراج ، ص ٩ ٩٤)

(٢) يلاحظ هنا ان ابن بسام اختلط عليه اسم صاحب سرقسطة في تلك الفترة ، فذكر انه ابن هود ، لكن الصواب أنه منذر الأول بن يحيى التجيبي الذي حكم سرقسطة منذ سنة ٤٠٣هـ حتى سنة ٤١٤هـ/١٠١٣ - ١٠٢٣م ، وهو ما أثبتناه بالمتن انظر (الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢١ ، ابن عذاري نفسه ح ٣ ص ١٦٥ AEH Tuk op cit p 17

أثار سخط مجاهد العامرى الذى كان منافسا خطيرا للتجيبيين بمنطقة شرق الأندلس ، ونتج عن ذلك اندلاع الحرب بين الطرفين ، وانتهى الأمر باتفاق الموالي العامرية بتلك المنطقة على اسناد حكم بلنسية إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن شنجول بن أبى عامر (حفيد المنصور) فى سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م ، فى حين يتولى مقاتل الصقلبى (العامرى) حكم طرطوشة ، وبذلك استقرت الأوضاع نسبيا بمنطقة شرق الأندلس [١] .

ويعتبر مقاتل الصقلبى من أبرز الأمراء الصقالبة الذين تولوا حكم طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف ، فقد وصفته المصادر بالسياسة والنشاط ، كما استعان بمجموعة من ذوى الكفاءة والخبرة الادارية فى تسيير شئون إمارته ، وتلقب مقاتل بمعز الدولة وسيف الملة ، ويسخر ابن عذارى من ذلك فيقول انه «لقب اخترعه لنفسه ، فكان يكتب به إليه وعنه . .» [٢] .

ويتضح من المصادر أن مقاتلا الصقلبى كان من بين الفتيان الصقالبة الذين بايعوا هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمعتد بالله بالخلافة ، وكان هشام مقيما انذاك - بألبونت عند بنى قاسم الفهريين بعد

---

(١) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢ ٢١ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٤ ١٦٥ ، كمال أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية ، ص ٧١.

H. Miranda op cit t. I, pp 241 - 242

وجدير بالاشارة هنا أن الأمير عبدالعزيز بن أبى عامر كان يقيم بسرقسطة قبل توليه حكم بلنسية ، حيث كان يعيش فى كنف صاحبها منذر بن يحيى التجيبى وظل مقيما بها الى أن استدعاه الفتيان العامرية لحكم بلنسية ، ومن هنا يمكن أن نستنتج بأن هناك اتفاقا حصل بين الفتيان العامرية أو الصقالبة بشرق الاندلس مع منذر التجيبى على ان يتخلى مجاهد العامرى عن حكم بلنسيه للأمير عبدالعزيز بن أبى عامر ، بينما يتخلى منذر عن طرطوشة لمقاتل الصقلبى

(٢) البيان المغرب ج ٣ ، ص ٢٢٤

مقتل أخيه المرتضى . فاتفق الوزير أبو الحزم جهور بن جهور شيخ الجماعة بقرطبة مع امراء الثغور من الصقالبة ومنهم مقاتل الصقلبى على إعادة الخلافة بالأندلس إلى بنى أمية ، وإنهاء الخلافة الحمودية بقرطبة ، وعلى هذا تمت مبايعة هشام بالخلافة فى سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م وتلقب بالمعتد بالله ، وتمكن بمساعدة أنصاره من دخول قرطبة فى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م [١] .

وتشير بعض الروايات الى العلاقات الودية الطيبة التى كانت تربط مقاتل صاحب طرطوشة بالخليفة هشام المعتد بالله بقرطبة ، حيث كان الأخير يرسل إليه بالسفارات دعما لتلك الروابط بينهما [٢]، كما كانت تربطه علاقات وطيدة باقبال الدولة علي بن مجاهد العامرى صاحب دانية [٣] ، وظل مقاتل الصقلبى مواليا للخلافة الأموية بعد خلع هشام المعتد بالله فى سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م ،

---

(١) انظر الحميدى ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاه الأندلس ، نشر الدار المصرية، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٢٧ - ٢٨؛ ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ مجلد ١ ، ص ٥١٥ وما يليها؛ ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٥٥ ، النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٢ (الخاص بالمغرب والاندلس) نشر جاسبار ريميرو ، غرناطة سنة ١٩١٧م، ص ٢٣٧؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٦٣

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٥١٤ ، ومن أمثلة السفارات التى بعثها الخليفة هشام المعتد بالله الى مقاتل صاحب طرطوشة ، السفارة التى كان على رأسها وزيره فائز بن المغيرة الذى اجتمع بطرطوشة مع أبى الربيع القضاعى أحد شعراء وأدباء طرطوشة آنذاك ، فقال له فائز لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا ، فأنشده أبو الربيع ساخرا.

هبك كما تدعي وزيرا   وزير من انت يا وزير
والله ما للأمير معنى   فكيف من وزر الأمير

وهذه الأبيات إنما تدل علي مدى ما وصلت إليه الخلافة الأموية من ضعف واضمحلال فى فترة الفتنة القرطبية التى أعقبت مقتل شنجول ، وظلت مشتعلة إلى أن سقطت الخلافة نهائيا فى سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م انظر : (الدخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٥١٤).

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ مجلد ١ ، ص ٣٦٣

فقد انضم فى سنة ٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥م الى الطائفة الأندلسية التى كانت تضم أيضا عبدالعزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية وسليمان بن هود الجذامى صاحب سرقسطة والثغر الأعلى ، وابن جهور صاحب قرطبة وابن صمادح التجيبى صاحب المرية ، وكانت تلك الطائفة الأندلسية تدعو للخليفة هشام المؤيد - المزعوم - الذى نصبه القاضى أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد بإشبيلية [١] ، ومما يؤكد ذلك الولاء الروحى للخليفة هشام المؤيد نقش اسمه على العملة التى سكها مقاتل الصقلبى بطرطوشة ، وكان هدف أمراء الطوائف - من الصقالبة والعرب - إسباغ حكمهم نوعا من الشرعية وذلك بإعلانهم التبعية الاسمية لأحد الخلفاء الأمويين [٢] .

ويبدو أن العلاقات ساءت فى أواخر عهد مقاتل الصقلبى بينه وبين المنصور عبدالعزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية (ت سنة ٤٥٢هـ/١٠٦١م) ، وكان من أقوى أمراء الطوائف بشرق الأندلس ، فيذكر ابن بسام أن المنصور عبدالعزيز ارسل جيشا من العبيد أو الموالى العامرية ، فزحف من شاطبة إلى طرطوشة لمحاربة أميرها مقاتل الصقلبى ، وانتهت الحرب بهزيمة مقاتل ومقتله فى سنة ٤٤٥هـ ، مما أثار غضب المقتدر بالله احمد بن سليمان بن هود (تولى حكم سرقسطة منذ سنة ٤٣٨هـ /١٠٤٦م حتى سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) وكان يرتبط على الأرجح - بعلاقة تحالف وصداقة مع مقاتل الصقلبى ، والغالب أن الأخير

---

(١) انظر : ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩ ، عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ج ١ ، بيروت سنة ١٩٧١، ص ١٢٧ ، العبادى ، دراسات ، ص ٨٩ ، ٩٢، خالد الصوفى ، جمهورية بنى جهور ، دمشق سنة ١٩٥٩ ، ص ٦٤،

(Andrew Handler, The Zirids of Granada, Miami, 1974, p. 54

(٢) Codera Y Zaidin, Tratado de numismatica arabigo Española, Madrid, 1879, pp. 181 - 183 & Prieto Y Vives, op cit, p. 37

كان يدين بنوع من التبعية لجيرانــه بنى هود أصحاب سرقسطة والثغر الاعلى ، مما يفسـر سبب سـخط الأمـيـر المقـتـدر بن هود (ويذكـره ابن بسـام خطأ منذر التـجيبى) وغضبه لمقتبل مقاتل وارساله كتاب تهديد ووعيد للمنصور صاحب بلنسيه [١] .

ومن المرجح استنادا الى العملة المذكورة بالاضافة الى رواية ابن خلدون أن مصرع مقاتل الصقلبى حدث فى سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣ - ١٠٥٤م ، وخلفه فى حكم طرطوشة يعلى الصقلبى (العامرى) الذى تلقب ايضا بسيف الله ومعز الدولة [٢]، غير انه كان عاطلا من صفات سلفه ، فقد كان ضعيفا ، قليل الخبرة بأمور السياسة والحكم ، ولذا لم يتمكن من الحفاظ علي ملكه وسرعان ما وقعت طرطوشة تحت حكم الفتى نبيل الصقلبى فى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، الذى كان يفتقر أيضا للحنكة السياسية والكفاءة الادارية ، ولذا ثار عليه اهل طرطوشة فى سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، بسبب تخبطه فى الحكم وسوء معاملته للرعية، وتشدده وعنفه معهم ، ولعل جاره المقتـدر بن هـود صاحب سرقسطة لعب دورا

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ٢١ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩.

Prieto Y vives, op.cit, pp, 38, 1 ?.?

ويذكر ابن بسام أن الأمير منذر التجيبى (والصواب كما اثبتنا بالمتن أنه المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة لأن المنذر الثانى قتل سنة ٤٣٠هـ) عندما علم بقتل مقاتل صاحب طرطوشة على يد جيش المنصور أمير بلنسـة أرسل الى المنصور يرعد ويبرق ، فراجعه أبو عامر التاكرنى كاتب المنصور ببيتى الشاعر المتنبى ك

فــإن كــان الخضيب عامكــم   فعـودوا إلى حمـص فـى القابـل

فــإن الحســام الخظيــب الــذي   قتلتـم بــه فــى يــد القاتــل

انطر (الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٢٢٩).

(٢) انظر ، العبر ح ٤ ، ص ١٧٣؛

Prieto Y Vives, op cit pp 38' 1?.?' 122, 190

فى اشعال نار الثورة ، ضده حتى تتاح له الفرصة للتدخل وتوسعة ممتلكاته ، وذلك ببسط نفوذه على طرطوشة ايضا علاوة على إمارته الواسعة بسرقسطة ودانية ولاردة [١].

وعلى أية حال فقد وجد ابن هود فى ثورة أهل طرطوشة ضد حاكمهم نبيل الصقلبى ذريعة للتدخل العسكرى ، فزحف بجيشه نحو طرطوشة ، ودخلها سلما دون مقاومة ، فى سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م بعد ان سلمها له صاحبها نبيل الذى لجأ إلى بلاط ابن هود بسرقسطة وعاش فى كنفه ، وبذلك انتهت دولة الفتيان الصقالبة العامرية بطرطوشة [٢] ، ودخلت منذ ذلك الحين فى فلك مملكة بنى هود بسرقسطة ، وأصبحت تتمتع بحماية بنى هود الأقوياء أصحاب الثغر الأعلى ، وانعكس ذلك بطبيعة الحال على احوالها الداخلية ، فتحسنت أحوالها نسبيا عما انت عليه فى عهد الصقالبة ، ونعم أهلها بالهدوء والاستقرار والأمن فى ظل

) ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ٢٥ ، ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٩٨ ، عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ج ٣ ، القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤؛

AFH Turk op cit. p 81

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥ ، ابن خلدون ، نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، كليليا سارنللي ، مجاهد العامرى ، ص ١١٩ ، عنان ، نفسه ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤؛

Prieto Y vives, op cit. p 39, M J Viguera, op cit. p 149 & AFH Turk op cit. p 81

وجدير بالملاحظة هنا إن بعض المصادر تذكر ان نبيلا الصقلبى خرج من طرطوشة فى سنة ٤٥٢ هـ وكان قد تولاها بعد صاحبها الفتى مقاتل .

انظر (ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٩٨) والحقيقة ان تلك الروايات غير صحيحة ، لأن من الثابت استنادا للعملة التى سكت بطرطوشة فى عصر الطوائف ان يعلى الصقلبى تولى بعد مقاتل ، ثم خلف يعلى فى الحكم الفتى نبيل الصقلبى وهو الذى سلم بلده طرطوشة لابن هود صاحب سرقسطة.

انظر : Codera, op.cit. pp 181 - 183 & Prieto Y Vives, op cit. pp 37 - 39, 189 - 191

حكم بنى هود. غير أن تلك الحلة لم تستمر طويلا ، إذ أن المقتدر بالله قبيل وفاته اقدم على تقسيم مملكته الواسعة سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م بين ولديه يوسف (الملقب بالمؤتمن) ، والمنذر (عماد الدولة) ، فأسند إلى المؤتمن حكم سرقسطة وأعمالها ، بينما خص المنذر بإمارة لاردة وطرطوشة ودانية . ونتج عن ذلك التقسيم نشوب الحرب الأهلية بين الأخوين ، وتحالف كل منهما مع جيرانه النصارى الإسبان المتربصين بدولة الإسلام فى الأندلس ، فتحالف المنذر مع سانشو راميرث (Sancho Ramirez) ملك أرغون (اراجون) ، في حين تحالف اخوه المؤتمن مع السيد القنبيطور (El Cid Campeador) القائد القشتالى المغامر الذى كان يعمل - غالبا - لحسابه الخاص مع جنده المرتزقة ، وانتهت الحرب بهزيمة المنذر ، وانعكست تلك الحروب الأهلية على أحوال إمارته ومنها طرطوشة ، إذ عانى أهلها من افتقاد الشعور بالأمن والطمأنينة بالاضافة إلى ارهاقهم بكثرة المغارم والضرائب لتجهيز الجيوش ، ودفع رواتب الجند النصارى المرتزقة ، وارسال الهدايا والاتاوات إلى جيرانه من ملوك النصرانية وخصوصا صاحب مملكة أرغون [١] .

وفى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ تعرضت طرطوشة لهجوم صليبى من البر والبحر حيث قام أسطول جنوة وغيرها من نصارى المدن أو الجمهوريات الايطالية ، بمحاصرة طرطوشة وانضم إلى الجنويين ايضا ابن

---

(١) انظر : مذكرات الأمير عبدالله الزيرى المسماة بكتاب التبيان ، نشر ليفى بروفنسال ، طبعة دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٧٧ - ٧٩ ؛ ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ، تحقيق مختار العبادى ، نشر معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، سنة ١٩٧١ ، ص ٨٦ هـ ١ ، عنان ، نفسه ، ص ٢٣٤ ، ليفى بروفنسال ، الإسلام فى لمغرب والاندلس ، ترجمة عبدالعزيز سالم وصلاح الدين حلمى ، الاسكندرية سنة ١٩٩٠ ، ص ١٨٣؛

Primera Cronica General, publicad por M pidal , t. II. Madrid, 1955, p. 560 & AFIF Turk, op.cit , pp 121 - 124

ردمير (أى سانشو راميرث) Sancho Ramirez صاحب أرغون وراينده (رامون برنجير الثالث (Ramon Berenguer III) صاحب برشلونة غير ان ذلك الهجوم باء بالفشل ولم يتمكن النصارى من اقتحام طرطوشة لحصانتها ، واستبسال جند المنذر بن هود فى الدفاع عنها ، فاضطروا الى الانسحاب ، وفى ذلك يقول ابن الكردبوس : «فثبتها (يقصد طرطوشه) الله ودفع عنها وانصرف جميعهم خائبا منها» [١] .

وعقب وفاة المنذر بن المقتدر بن هود فى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩ - ١٠٩٠م خلفه فى حكم لارده وطرطوشة ودانيه ابنه سليمان الملقب بسيد الدولة ، وكان لا يزال حدثا صغير السن ، ولذا لم يتمكن من مباشرة أمور الحكم بنفسه ، فتولى الوصاية عليه بنو بيطر ، وهم من الأسر القوية التى اشتهرت بالحزم وقوة النفوذ[٢]. غير أن بنى بيطر لم يستطعوا الصمود في مواجهة غارات السيد القنبيطور المتوالية على أراضى بنى هود فى طرطوشة ولاردة وغيرها من مناطق شرق وشمال شرق الأندلس التى عاث فيها فسادا ونهبا وتخريبا ، مما اضطر سليمان بن هود (سيد الدولة) إلى طلب حمايته مقابل اتاوة سنوية يدفعها للقنبيطور أسوة بما فعله جيرانه من ملوك الطوائف بتلك المنطقة [٣] .

---

(١) انظر : ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ١٠٠ ؛

H. Miranda, op cit., t. II, p. 45

(٢) عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٩٠؛

H. Miranda, op.cit, II, p. 38,

(٣) Primera cronica General de Espana, t II, p 562 & M pidal, la Espana del Cid, Vol. I, Madrid, 1947, pp 386 - 389, 414 - 416 & H. Miranda, op.cit., t. III, p 38

ويشير ابن عذارى الى أن سيد الدولة بن هود حاول التخلص من نفوذ القنبيطور وتسلطه ، فاشترك بقواته مع بعض أمراء شرق الأندلس ضمن الجيش المرابطى الذى زحف فى سنة ٤٨٨هـ / اواخر ١٠٩٤م لنجدة بلنسية عقب سقوطها فى يد القنبيطور (سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤) ، ولكن محاولته اخفقت ، ومنى المسلمون بالهزيمة فى موقعة كوارت (Cuart) أمام جيش القنبيطور وحليفه صاحب ارغون [١] .

وظلت طرطوشة تحت حكم ابن هود إلى أن استولى عليها المرابطون هى ولاردة والسهلة (سهلة بنى رزين أو شنتمرية الشرق) وألبونت وغيرها من أعمال الثغر الأعلى ، ولذلك بعد افتتاحهم لبلنسية ، واستردادهم لها من ايدى النصارى الاسبان فى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م[٢] ، وأنقذوا بذلك دولة الاسلام فى الأندلس من سقوط حتمى فى أيدى النصارى غير أن طرطوشة لم تلبث أن سقطت نهائياً في أيدي النصارى الإسبان فى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨ - ١١٤٩م ، عندما استولى عليها رامون برنجير الرابع (Ramon Berenguer IV) صاحب برشلونه بمساعدة حلفائه فرسان الداوية الصليبيين واساطيل بيزه وجنوه [٣].

---

(١) راجع التفاصيل حول وقعة كوارت فى : ابن عذارى ، نفسه ، ج ٤ ، نشر احسان عباس ، طبعة بيروت ، ص ٣٤ - ٣٦ ؛ كمال ابو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسيه، ص ١٤٩ - ١٥١
Pidal, op. cit, Vol. 1, p 506 - 507.

(٢) عن استرداد المرابطين لمدينة بلنسية انظر التفاصيل فى : ابن بسام ، نفسه ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ١٠٠ - ١٠٢؛ ابن عذارى ، نسه ، ج ٤ ، ص ٤١، ابن الكردبوس ، نفسه ص ١١٠، كمال ابو مصطفى ، نفسه ، ص ١٦٢ - ١٦٤؛
(Pidal, op.cit, Vol, II, p. 581 & Miranda, op.cit. t., III, p. 7 & G Remiro, Historia de Murcia musulmana, Zaragoza 1905, pp 144 - 145.
وجدير بالذكر هنا ان المصادر لم تشر الى تاريخ دخول المرابطين مدينة طرطوشة، ولكنى أرجح أن ذلك تم بعد سنة ٤٩٥هـ (بعد استردادهم بلنسية من النصارى) أى فى حوالى سنة ٤٩٧هـ ، لأن استيلاء المرابطين علي البونت كان فى سنة ٤٩٦هـ ، وتلتها السهلة فى سنة ٤٩٧هـ ، وعقب سقوط الطهلة انفتح الطريق أمام المرابطين للزحف نحو طرطوشة ولاردة .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السهلة ، ج ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، الحاشية ص ٢٣٣؛ المراكشى ، المعجب ، ص ١٢٤ ، هـ ٤؛
Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, t 1, pp 772 663

(٤)

جوانب من حضارة طرطوشة فى العصر الاسلامى

أولا : المنشآت المعمارية :

أشارت المصادر الجغرافية إلى ازدهار عمران طرطوشة فى العصر الإسلامي، وأشاد بذلك العديد من الجغرفيين المسلمين ، فذكروا انها مدينة عامرة ذات خطة فسيحة وأسواق وفيرة وعمارات وضياع وحصون كثيرة [١] . ويلاحظ أن المدن البحرية مثل طرطوشة ودانية والمرية وغيرها من مدن الساحل الأندلسى كان يغلب على عمارتها الطابع الحربى ، فكانت مدنا مسورة ومزودة بالقصاب والقلاع كما كانت تزود عادة بدار صناعة بحرية ، وبالاضافة الى ذلك كانت تزخر بالمنشآت المدنية كالمساجد والحمامات والفنادق وغير ذلك من المنشآت التى لا غنى عنها والتي تميز المدينة الإسلامية [٢] .

(١) التحصينات :

أ - السور :

كان يحيط بطرطوشة سور قديم متقن البناء [٣] ، يغلب على الظن انه يرجع إلى العصر الرومانى ، ولكن من المرجح أن هذا السور تعرض للتهدم فى بعض اجزائه ، مما دفع ولاة الأمويين بطرطوشة إلى ترميمه ، فيذكر العذرى أن سور طرطوشة حدث به تثلم فى أوائل عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر فقام محمد بن

---

(١) الادريسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ؛ الحميرى ، نفسه ، ص ١٩١.

(٢) Maria J. Rubiera, La taifa de Denia, p. 30

(٣) ابن غالب ، نفسه ، ص ٣٨٥ ، الإدريسى ، نفسه ، مجلد ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١.

شبريط المولد المعروف بالطويل (صاحب وشقة وأعمالها بالثغر الأعلى) باصلاحه وترميمه فى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م [١] ، إلا أن الخليفة الناصر لم يكتف بذلك ، وصمم على اعادة تشييده نظرا لأهمية ذلك الثغر فى مواجهة المماليك الاسبانية المسيحية ، فأصدر أوامره الى عبدالرحمن بن النظام والى طرطوشة (٣٢٨ - ٣٣١هـ) بتشييد السور ، ويصفه الحميري بأنه من صخر ، ويمتاز بالحصانة، وقد تتبع المسلمون فى إعادة تشييده نفس التصميم الرومانى القديم [٢] .

واكتسبت طرطوشة بهذا العمل المهم حصانة ومنعه وقوة دفاعية ، وكان السور مزودا بطبيعة الحال بالأبراج القوية التى تنفتح فيها مزاغل على نحو ما هو مألوف فى الأسوار [٣].

ب - الأبواب :

وكان ينفتح فى السور عدة أبواب ، وكان عدد تلك الأبواب له صلة بمدى أهمية المدينة واتساع عمرانها وخطتها وعدد سكانها [٤] . وقد أشار الحميرى إلى أن بسور طرطوشة أربعة أبواب [٥]، غير أنه لم يمدنا بتفصيلات عن أسماء تلك الأبواب ولا إلى أى جهة كانت تنفتح ، وإن كان صاحب ذكر بلاد الأندلس

---

(١) العذرى ، نفسه ، ص ٦٦ .

(٢) الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(٣) عبدالله عنان ، الآثار الاندلسية الباقية، القاهرة ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٩٣ ، محمد عبدالستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ١٣٧ - ١٣٩؛
Torres Balbas, Ciudades Hispano - Musulmanas, t. I, Madrid, p .520

(٤) Torres Balbas, op.cit, t. II, pp. 603, 649

(٥) الروض المعطار ، ص ٣٩١

ألمح إلى إحد أبوابها ويعرف بالباب الكبير ، كان يؤدي الى ساحل البحر [١]
ومن المعروف ان تلك الأبواب كانت تغلق ليلا ، وحينئذ تصبح المدينة شبه منعزلة عن الخارج، وكان المحتسب (صاحب السوق) يأمر البوابين بفتحها مبكرا ، ومنع خروج أي شخص منها في ذلك الوقت المبكر ، لمنع اللصوص من الهرب بسرقاتهم إلى خارج المدينة [٢] .

جـ - القصبة :

كانت القصبة (القلعة) - عادة - مقر الوالي أو الأمير في العصر الإسلامي ، وكانت تقام غالبا في مرتفع من الأرض غير بعيد عن النطاق العمراني للمدينة حتى يتيسر لحاميتها الدفاع عنها ، وكانت قصبة طرطوشة تقع على أرض صخرية واسعة سهلة المرتقى ، وتطل على نهر إبره (ورد ذكرها في المصادر الإسبانية باسم السدة Asuda أو Lazuda ، ولعل وقوعها على جبل مرتفع يجعل من الصعب حصارها ، وامتازت تلك القصبة بروعة البنيان والحصانة [٣]
وأشار إلى ذلك الشاعر ابن ادريس الجزيري عندما اعتقل بها في عهد المظفر عبدالملك بن المنصور بن أبي عامر [٤] .

---

(١) انظر ، مؤلف مجهود ، تذكر بلاد الاندلس ، ص ٧٤ .

(٢) ابن عبدون ، رسالة اندلسية في القضاء والحسبة ، نشر ليفي بروفنسال، المعهد الفرسي ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٣

(T. Balbas, op cit. t. II, p. 604)

(٣) انظر : الرازي ، وصف الاندلس ، نشر ليفي بروفنسال في: Al Andalus, p. 72 ،
الارديسي ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٧٣٤، الحميري ، نفسه ص ٣٩١

M. J. Rubiera, op cit. p. 26

(٤) تذكر المصادر ان الوزير الكاتب عبدالملك بن ادريس الخولاني المعروف بالجزيري نفى الى طرطوشة واعتقل بقصبتها في عهد الحاجب المظفر عبدالملك بن أبي عامر ، وظل معتقلا في أحد ابراجها إلى أن وافته المنية ، وقد وصف لنا الجزيري ذلك المعقل أو الحصن الذي اعتقل فيه بقوله

وبذكر الفتح بن خاقان أن تلك القصبة كانت تحتوى على بعض الأبراج [١] ، التى تدعم دورها الدفاعى وقد تبقت بعض آثار من سورها فى الوقت الحاضر [٢]

د - دار الصناعة (بالاسبانية)Atarazana

يتضح من إحدى الوثائق الاسبانية المسيحية أن دار صناعة طرطوشة كانت تقع على مقربة من النهر ، وبجوارها كان يقع الحى المعروف بنفس الاسم اى حى دار الصناعة darsena أو At - tarsana [٣].

ومن الملاحظ ان المصادر - سواء التاريخية أو الجغرافية - لم يرد بها اشارة

= فى رأس أجرد شاهق عالى الذرى ... ما بعده لمؤمل من مبصر
يهوى اليه كل أجرد ناعب ... وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرقى إليه مرة ... من دهره يشكو انقطاع الأبهر

انظر (ابن خاقان ، مطمح الانفس ، الطبعة الاولى ، القسطنطينية ، سنة ١٣٠٢هـ ، ص ١٣ ، الحمرى ، نفسه ، ص ٣٩١ ، نفح الطيب ، ج ٢، ص ١٢١)

(١) مطمح الانفس ، ص ١٣ ، المقرى ، نفسه ، جح ٢ ، ص ١٢١

(٢) عنان ، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٩٣ ويذكر الاستاذ عبدالله عنان أن قصبة طرطوشة المسماة عند الإسبان (Azuda) هى الآن عبارة عن مجموعة كبيرة من الاطلال من أسوار وبقايا ابراج تشغل مساحة كبيرة فوق ربوة عالية تقع وسط المدينة وتشرف من الخلف على نهر ابره ، ويضيف الاثريون الاسبان ان القصبة ترجع الى العصر الرومانى غير أنها تعرضت للاهمال والتخريب فقام المسلمون بتجديدها وتعميرها واستخدموها خلال فترة الحكم الاسلامى .
انظر (عنان ، نفس المرجع السابق ، ص ٩٣)

(٣) Joaquin Miret Y Sans, La Carta de Franquicias otorgada por el Conde de Barcelona, en Homeaje a F. Codera, Zaragoza 1904 p 202

الى العصر الذى أسست فيه دار صناعة السفن بطرطوشة [١]، غير أن اللوحة التذكارية لدار الصناعة ما زالت محفوظة فى الجدار الخارجى الشمالى من كاتدرائية طرطوشة ، وتفيدنا بأن الخليفة عبدالرحمن لناصر هو الذى أمر ببنائها فى سنة ٣٢٣هـ / ٨٣٥م) ونطالع فى النقش النص التالى (بسمله ..... أمر بانشاء هذه الدار عدة للصناعة والمراكب عبدالله عبدالرحمن أمير المؤمنين أيده الله، فتم بناؤها على يدى قائده وعبده عبدالرحمن بن محمد بعون الله ونصره فى سنة ثلث وثلثين وثلث مائة . وكتب عبدالله بن كليب) [٢] .

ومن المرجح ان دار صناعة طرطوشة لم تكن قاصرة على إنشاء السفن بل كانت تقوم أيضا باصلاح سفن الأسطول الإندلسى [٣] ، ومما ساعد على قيام دار الصناعة بها وفرة أخشاب الصنوبر بغاباتها ، وهى اخشاب صالحة لصناعة السفن ، لطولها وغلظها وعدم تأثير السوس فيها [٤]، وكان يصنع من تلك الأخشاب ، أيضا الصوارى وقوائم الأشرعة للمراكب [٥] . ويبدو إن دار صناعة طرطوشة كانت تشغل مساحة كبيرة ، وموضعا مهما من المدينة ، حيث كان يحيط بها سبعة عشر برجا مهمتها توفير الحماية لها وكانت تلك الأبراج تربط بين بدنات السور لتدعمه متخذه ما يشبه الدائرة المغلقة [٦] .

---

(١) الإدريسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٢) Levi- provencal. Inscripions arabes d'espagne. Paris. 1931, pp. 83 84

(٣) أرسلان ، الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ١٠: ؛ Levi-provencal. op.cit., p. 84 ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٦ .

(٤) الارديسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، ٧٣٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٥) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، ٧٣٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١

(٦) Torres Balbas Atarzanas Hispano musulmanas. al Andalus Vol. XI, Madrid. 1946, p. 181 - 182
T Balbas , atarazanas, p 181

ويشير الباحثون الإسبان إلى أن دار صناعة طرطوشة تعرضت للاهمال بعد الاسترداد المسيحى لها سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، ومما يدل على ذلك ان رامون برنجير الرابع (Ramon Berenguer IV) صاحب برشلونة منح يهود طرطوشة تصريحا ببناء ستين منزلا فى موضع دار الصناعة فى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م [١] .

(١) أهم المنشآت الدينية :

أ - جامع طرطوشة :

أمر ببناء هذا الجامع الخليفة عبدالرحمن الناصر فى سنة ٤٣٥هـ/٩٥٥ - ٩٥٦م وكان بيت الصلاة فيه يتكون من خمس بلاطات ، وكان صحن هذا الجامع فسيحا [٢] .

وكانت تعقد فى هذا الجامع حلقات للتدريس ، فقد ذكر ابن الأبار ان حسين ابن محمد الانصارى (ت سنة ٥٦٣ هـ كانت له حلقة عظيمة بجامع طرطوشة يعلم فيها القراءات أي تجويد القرآن الكريم [٣] .

ومن المرجح ان جامع طرطوشة كان يقع فى وسط المدينة ، بدليل ان الكنيسة العظمى أو الكاتدرائية La Catedral التى بنيت مكان الجامع ، تشغل وسط المدينة [٤] .

---

(١) Balbas, op.cit., p. 182.

(٢) الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ ، توريس بالباس ، الأبنية الإسبانية الاسلامية ، ترجمة عليه العنانى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١٠١ ، ٢٠٢ ، - ١٠٣ .

(٣) التكملة لكتاب الصلة ، طبعة عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٧٥ ، ترجمة رقم ٧٣٥ .

(٤) عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٩٢ .

ب - الرباطات أو الأ :

شاع فى بلاد المغرب والاندلس بناء الأربطة التى يرابط فيها بعض المسلمين من أهل التدين والصلاح وحب الجهاد ، من أجل التعبد وتدريس العلوم الدينية وكذلك الجهاد فى سبيل الله وحراسة سواحل المسلمين ، علاوة على انها كانت مأوى للغرباء والمسافرين . وكانت تلك الأربطة تنتشر عادة بالمناطق الساحلية لتأمين تلك السواحل وانذار أهلها بأى خطر قد يتهددهم [١] . ومن أمثلة تلك الأربطة فى طرطوشة " رابطة كشكى التى يحدد الزهرى موقعها بأنها على مقربة من طرطوشة [٢] ، وكذلك رابطة كشطالى ، وكانت تقع بساحل طرطوشة على مسافة تسعة عشر ميلا قرب نهر إبره ، ويصفها الإدريسى بأنها رابطة حصينة منيعة على ساحل البحر الشامى ، وكان يرابط فيها قوم أخيار [٣] .

٣ - المنشآت المدنية :

لم يرد فى المصادر عن المنشآت المدنية سوى اشارة موجزة أوردها الحميرى، فيذكر أن بطرطوشة أربعة حمامات [٤] . ولا شك أن الحمام كانت له أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية بالاندلس حيث كان مركزا للمجالس المرحة كما كان

---

(١) سعيد عاشور وسعد زغلول عبدالحميد ومختار العبادى ، دراسات فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، الكويت ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ؛ مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٩٠ ، وما يليها ، كمال أبو مصطفى ، مالقة الاسلامية فى عصر دويلات الطوائف (دراسة فى العمران والحياة الاجتماعية (، نشر دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، سنة ١٩٩٠ ، ص ٣٤ ،

(٢) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ١٠٣ .

(٣) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٥٥

(٤) انظر : الروص المعطار ، ص ٣٩١ .

يمثل فرصة للنساء للتمتع بحرية نسبية والتسرية عن إنفسهن علاوة على ارتباطه بالطهارة والوضوء من أجل الصلاة [١] .

أما اسواق طرطوشة : فقد ألمحت المصادر الجغرافية الى كثرة أسواقها وانتعاش الحركة التجارية فيها ، وكانت الأسواق تقع - غالبا - عند رحبة الجامع كذلك يشير الحميرى الى وجود سوق آخر كان يقام بصفة دائمة بالربض القبلى [٢] .

٤ - ظاهر المدينة :

١ - المصلى

وهى التى يطلق عليها ايضا في المصطلح المغربى والاندلسى اسم «الشريعة»، وقد أشار الحميرى الى وجود مصلى بطرطوشة وحدد موقعها فى الجهة الشمالية الغربية من القصبة ، فيقول : والمصلى والمدينة فى غرب القصبة وجوفيها ... » ، والمصلى كانت الموضع الذى يصلى فيه المسلمون صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء عندما يجتاح البلدة قحط أو محل وينعدم نزول المطر ، وهى تقع عادة خارج أبواب المدنية فى موضع فسيح يستوعب جميع المصلين من سكانها [٣] .

---

(١) بالباس ، الأبنية الاسبانية الاسلامية ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ عبدالعزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الاندلس ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) الادريسى ، نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٣) T. Balbas, Ciudades Hispano - musul., t. I, p. 219.

٢ - الأرباض :

ويقصد بها المناطق المأهولة بالسكان بظاهر المدينة أو خارج نطاق أسوارها [١] ، ويفيدنا الحميرى بوجود ربضين فى طرطوشة ، أحدهما فى الجهة الشمالية، والآخر فى جنوب المدينة والقصبة على مقربة من السور [٢] . ومن الجدير بالذكر أن سور طرطوشة كان يحيط بأرباضها ، عكس الكثير من المدن الأندلسية [٣] .

ومن المرجح ان الربض القبلى أو الجنوبي الواقع على مقربة من القصبة كان اكثر انتعاشا وازدحاما بالسكان من الربض الشمالى ، ويؤكد ذلك قول الحميري بأن سوق طرطوشة كان يقام بالربض القبلى [٤]. وتذكر الباحثة الاسبانية روبيرا Rubiera أن تلك الارباض كان يستقر بها أغلب الأحيان المهاجرون الى المدينة من أهل المدن او المناطق الاخرى [٥]، وفى تصورى انها كانت مخصصة لأرباب الحرف التى تقتضى ان تكون حرفهم خارج نطاق أسوار المدينة كالفخارين والخشابين والزجاجين والدباغين وما إلى ذلك .

٣ - المقابر :

كانت المقابر تقع خارج اسوار المدينة علي مقربة من الطرق المؤدية الى الأبواب الرئيسية لسور المدينة [٦] . ويلاحظ إنه لم ترد لنا عن مقابر طرطوشة

---

(١) T. Balbas, Ciudades, T. 1, pp. 170 - 171.

(٢) الروض المعطار ، ص ٣٩١ ؛ Balbas, Ciudades, t. 1 , p. 188

(٣) الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٤) الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١ .

(٥) Maria J. Rubiera, La taifa de Denia, 35.

(٦) انظر : التكملة ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، رقم ٧٩٦.

سوى اشارة واحدة أوردها ابن الأبار عرضا فى سياق ترجمته لأحد علماء طرطوشة، فيذكر ان الفقيه خلف بن هانى العمرى توفى سنة ٤٠٨ هـ ودفن بمقبرة طرطوشة [١].

ثانيا : عناصر المجتمع والنشاط الاقتصادى :

توطنت فى طرطوشة – مثل غيرها من المدن الأندلسية الأخرى فى العصر الاسلامى ، عناصر شتى من السكان : العرب والبربر والصقالبة والمولدين وأهل الذمة من المستعربين (أو نصارى الذمة) واليهود ، ومن المرجع أن اعداد البربر كانت قليلة بتلك المناطق الثغرية فى شمال شرق الاندلس لأن العصبية البربرية كانت تتركز فى جنوب الاندلس قرب موطنها الاصلى بالعدوة المغربية ، ويتضح من المصادر أن الكثير من العرب سكنوا طرطوشة خصوصا من الأنصار والفهريين واللخميين وقبيلة بلى وغيرهم . أما اليهود ونصارى الذمة الذين عاشوا فى ظل الحكم الاسلامي فكانا يقيمون غالبا فى أحياء خاصة بهم وشاركوا بايجابية فى النشاط الاقتصادى داخل المدينة الاندلسية وخصوصا فى مجال التجارة. ويلاحظ وجود جالية يهودية كبيرة بطرطوشة حسبما تشير المصادر الاسبانية بدليل سماح الكونت رامون برنجير الرابع صاحب برشلونة لليهود ببناء مساكن لهم فى قسم من

---

(١) راجع : الضبى ، بغية الملتمس ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٦٦ ، ابن عبدالملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٦٥ ، ص ٦٧١ ترجمة رقم ١٢٥٦ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، ص ٢٣٦ ؛ التكملة ، ج١ ، ص ٤١١ – رقم ١١٦٤ ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ ، رقم ١٣٦٨ ؛ ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ رقم ٣١٤؛
David Wasserstein, The rise and fall of the party Kings, p. 163 & Ben Aboud, Asabiyya and Social relations in al-Andalus, Hesperis, XIX, 1980, p. 30 - 31.

دار الصناعة [١] . ومن جهة أخرى تمتع أهل الذمة فى الاندلس بصفة عامة بالتسامح والعدل من جانب السلطات الاسلامية ، فيتضح من وثائق الاحكام الكبرى ان النصارى واليهود كان بوسعهم فى ظل الحكم الإسلامى ان يمتلكوا العبيد ، كما كان لهم دور العبادة الخاصةبهم ، والتى يحق لهم ترميمها واصلاحها دون القيام ببناء دور عبادة جديدة [٢] .

اما فيما يختص بالنشاط الاقتصادى لسكان طرطوشة فيأتى فى المقدمة : النشاط التجارى ، فالمصادر الجغرافية تشير الى أن طرطوشة أحد أبواب البحر ، يسلكه التجار الى كل جهة [٣] ، فكان ميناء طرطوشة يستخدمه التجار للابحار منه الى سائر الانحاء سواء الى الغرب أو المشرق أو بلاد الفرنجة من أجل التجارة [٤]، كما كان يصدر عن طريقه خشب الصنوبر الذى اشتهرت به طرطوشة ، ويستخدم في العديد من الأغراض [٥] .

وجدير بالاشارة أن موقع طرطوشة البحرى وقربها النسبى من الممالك الاسبانية المسيحية وبلاد الفرنجة كان له اثر كبير فى ازدهار تجارة الرقيق بها ، فكانت تتوفر فى معظم المدن الاندلسية أسواق خاصة للرقيق يديرها دلالون أو

---

(١) T. Balbas, Atarazanas, p. 182 & David Wasserstein, op cit, p. 190, 230.

(٢) ابن سهل الأندلسى ، وثائق فى احكام قضا ، أهل الذمة فى الاندلس مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف ، الكويت سنة ١٩٨٣ ، ص ٨ ، ٩ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ؛ هنرى بيريس ، الشعر الاندلسى فى عصر الطوائف ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٦ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مجلد ٤ ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣ .

(٤) الرازى ، نفسه ، نشر ليفى بروفنسال فى :Al Andalus, p. 72.

(٥) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣٩١

سماسرة ، ويشرف عليها المحتسب منعا للغش والتدليس فى تلك التجارة [١].

وكان لتوافر المياه بطرطوشةأعظم الأثر فى اشتغال فئة من أهلها بالزراعة فكانت البساتين والضياع تنتشر على ضفاف نهر إبره ، كما كان سفح جبل طرطوشة يكثر به الثمار من كل نوع ، علاوة على توفر المراعى به [٢] . وبالاضافة الى ذلك اشتغل بعض سكان طرطوشة بقطع الاخشاب من الغابات التى تنمو بجبال طرطوشة لا سيما اخشاب الصنوبر والبقس والساج [٣].

وكان لموقع طرطوشة الجغرافى على النهر وقربها من البحر أثره فى اشتغال بعض الأهالى بحرفه صيد الاسماك ، فالقزوينى يذكر ان بواديها الحوت (أى السمك) الطيب من البورى والشولى (وهو من الاسماك البحرية التى تهاجر الى الانهار) ، كذلك كان يخرج من بحر طرطوشة الى البر حيوان بحرى يقومون بصيده ويسمى السمور (وهو يشبه النمس) ، وكان يتميز بفرائه الذى لا يقل نفاسه عن فراء الثعلب [٤] .

ومن حيث الصناعات ؛ اشتهرت طرطوشة بصناعة السفن والالات الحربية

---

(١) انظر : السقطى ، كتاب آداب الحسبة ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، باريس سنة ١٩٣١ ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٣ .

(٢) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٣ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٣) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، القزوينى ، نفسه ، ص ٥٤٥ ، الحميرى ، نفسه ص ٣٩١.

(٤) القزوينى ، نفسه ، ص ٥٤٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ، تحقيق يوسف البقاعى ، ص ١٨٧، كمال ابو مصطفى ، مصادر الثروة الاقتصادية فى الاندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، نوقشت بآداب الاسكندرية ، سنة ١٩٨٥، ص ١٨٦ ، هـ ٢ ؛
J. Vallve, La industria en - Al-Andalus, Al-Qantara Vol. 1, Madrid, 1980, p. 230.

مثل الأبراج والسلالم ، كما ذاعت شهرتها بصناعة الأوانى الخشبية والظروف [١] وصناعة التحف العاجية التى كانت تستخدم فى القصور لحفظ الدهون وقوارير العطور والحلى وتمتاز التحف الأندلسية بجمال زخارفها ، وتناسق أشكالها ، وتدل علي براعة المسلمين فى تلك الصناعة [٢].

ومن أمثلة التحف العاجية التى صنعت بطرطوشة: صندوق من العاج محفوظ بكائدرائية طرطوشة ، وهو مربع الشكل ، له غطاء متموج ، ومصنوع من الخشب المغطى بقشرة ، ومطعم بالعاج فى الأرضية ، ويزدان بصور مرصعة ، ومن الكلمات التى نقشت على الصندوق كلمتى : «اليمن والاقبال» [٣] .

ثالثاً - مسكوكات طرطوشة الإسلامية فى عصر الطوائف :

نستدل من النقوش الكتابية على العملات التى سكت فى طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف بما تحمله من القاب وأسماء وتواريخ بأن دار السكة بطرطوشة أصدرت دراهم فضية تحمل اسم مقاتل الصقلبى ابتداء من سنة ٤٣١هـ

---

(١) الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ، الزهرى ، نفسه ، ص ١٠٣ ، القزوينى ، نفسه ، ص ٥٤٥.

(٢) جومث مورينو ، الفن الإسلام فى إسبانيا ، ترجمة لطفى عبدالبديع وعبدالعزيز سالم ، القاهرة، بدون تاريخ ، ص ٣٥٥ ، عبدالعزيز سالم ، صور من المجتمع الاندلسى فى عصر الخلافة وعصر الطوائف من خلال النقوش المحفورة على العاج ، مجلة المعهد المصرى بمدريد سنة ٧٦ - ١٩٧٧، ص ٦١ ، عبدالعزيز مرزوق الفنون الزخرفية فى المغرب والاندلس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٨٢ .

(٣) Jose Ferrandis, Marfiles arabes de occidente, t. II, Madrid, 1940, pp. 121 - 122

، وفى عام ٤٣٨هـ ظهر لقب معز الدولة على احدى عملاته ، ثم اضيف له لقب سيف الملة بعد ذلك التاريخ [١] . وعثر على دراهم تحمل اسماء اخرى مثل : مسلم (٤٣٩ - ٤٤٠هـ) وعبدالملك بن رضى ٤٤١ - ٤٤٣هـ) ، ومن المعتقد انها اسماء المشرفين على دار السكة بطرطوشة . وآخر تاريخ لدراهم تحمل اسم مقاتل : درهم نقش عليه تاريخ سنة ٤٤٥هـ . ومن الجدير بالذكر انه لم يعثر على دنانير ذهبية سكت بطرطوشة ، وتحمل اسم مقاتل أو غيره من أمراء الطوائف الصقالبة [٢] .

ولدينا عملات تحمل اسم يعلى الصقلبى ولقب سيف الملة سكت فى أعوام ٤٤٧، ٤٤٨ و ٤٥٠ ، وفى هذا العام الأخير (سنة ٤٥٠هـ) أضيف الى لقبه : لقب معز الدولة مثل سلفه مقاتل [٣] .

أما عملة الفتى نبيل الصقلبى (آخر امراء الصقالبة بطرطوشة) فتبدأ على الأرجح منذ سنة ٤٥١هـ ، اذ لم يتيسر قراءة النقش الذى يحمل تاريخ الضرب [٤].

---

(١) أمثلة الدراهم التى سكت بطرطوشة فى عهد مقاتل :
درهم نقش على الوجه : (الدرهم بطرطوشة سنة أحدا وثلثين وأربعمائة) وعلى الظهر : (معز الدولة مقاتل) .
(Codera, op.cit, p. 182 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 188).

(٢) Codera, op.ct, p. 163 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 122.

(٣) Codera, op.ct, p. 163 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 122
ومن أمثلة دراهم يعلى الصقلبى درهم نقش علي الوجه :
(بعل الدرهم برطوشة سنة خمسين وأربعماية) وعلى الظهر : (معز - الامام هشام - الدولة).
Codera, op.ct, p. 163 & Prieto Y Vives, op.cit., p. 190

(٤) Prieto Y Vives, op.cit, p. 191.

ومن الملاحـظ أن عمـلات الأمراء الصالبـة بطرطوشة كانت تحمـل اسـم الخليفة هشام المؤيد ، مما يثبت ان حكام طرطوشة من الفتيان الصقالبة كانوا أوفياء لمولاهم وسيدهم هشام المؤيد ، ودانوا له بالتبعية الإسمية كما سبقت الإشارة.

وقد قام بنود هود أيضا بسك عمـلة لهم فى طرطوشة ودانية منذ سنة ٤٧٥هـ ، وهى تحمل اسم الحاجب المنذر بن هود الملقب بعماد الدولة ، كـذلك قام ابنه سليمان الملقب بسيد الدولة بسك عملة له فى طرطوشة ابتداء من سنة ٤٨٢هـ [١] .

رابعا : الحركة العلمية :

ازدهرت الحركة العلمية فى طرطوشة فى عصر الطوائف رغم حالة التمزق وعدم الاستقرار السياسى التى عانت منها مثل غيرها من مدن الأندلس الأخرى، ولعل هذا الازدهار يرجع الى استقرار الاوضاع السياسية فى طرطوشة لبعدها عن مسرح الفتـن والقلاقل الت طحنت موسطة الأندلس وقرطبة على وجه الخصوص .

ويمكن أن نبرز دور علماء طرطوشة فى الحياة الفكرية فيما يلى :

---

(١) ومن امثلة دراهم سيد الدولة بن هود : درهم نقش على الوجه:
(لا الله الا الله محمد رسول الله) وعلى الظهر : (بسم الله ضرب هذا الدرهم بطرطوشة فى ....
(يرجع سنة ٤٨٢ الحاجب سيد الدولة سليمان)
Codera, Ibid, p. 183 - 184 & Prieto Y Vives, Ibid, p. 130.

أ - علم القراءات :

اشتهر فى طرطوشة العديد من العلماء الذين تخصصوا فى علم القراءات أو ما يسمى بعلم تجويد القرآن ، منهم : محمد بن حسين الانصارى الطرطوشى الذى رحل إلى سرقسطة وتصدر للاقراء بجامعها سنة ٥٠٨هـ [١]، وخلفه فى هذا العلم ابنه الفقيه المقرىء حسين بن محمد الانصارى الطرطوشى الذى كان من المقرئين المجودين ، وتوفى سنة ٥٦٣هـ [٢] وكذلك أحمد بن محمد الهاشمى ، وأصله من طرطوشة ، وكان مقرئا ماهرا ، غير أنه اضطر الى مغادرة بلده طرطوشة فى سنة ٥٥٤ هـ عقب تغلب النصارى عليها فنزل بلنسية ، وفيها توفى حوالى سنة ٥٧٥ هـ [٣] .

ب - علم الحديث :

برز فى هذا العلم بعض علماء طرطوشة ، منهم خلف بن هانىء العمرى الذي حدث بطرطوشة وتوفى بها سنة ٥٠٨هـ [٤]، وخلفه فى رئاسة علم الحديث المحدث عبدالله بن أبى دليم الطرطوشى ، الذى روى عنه فى سنة ٥٠٤ هـ [٥] .

---

(١) ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ٤١١ ، ترجمة رقم ١١٦٤ .
(٢) الضبى ، نفسه ، ص ٢٦٦ ، ترجمة رقم ٦٤٤ ، ابن الأبار ، نفسه ، ج ١ ، ص ٧٥ رقم ٧٣٥
(٣) ابن الابار ، نسه ، ج ١، ص ٧٩ ، ترجمة رقم ٢١ ، ابن عبدالملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الاول ، ق ٢ ، تحقيق محمد بن شريفه ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٦٩ رقم ٧٠٧ .
(٤) الضبى ، نفسه ، ص ٢٨٩ ، ترجمة رقم ٧١٩ ، إبن الأبار ، التكملة ، ج١ ، ص ٩٤ ، ترجمة رقم ٧٨٦.
(٥) ابن عبدالملك المراكشى ، الذين والتكلة بقية السفر الرابع ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٦٤ ، ص ١٨٠ ، رقم ٣٣١ .

ومنهم ايضا : احمد بن مسعدة الطرطوشي الذى حدث ببلده ودرس ، كما تولى القضاء بها ، وتوفى سنة ٥٢٣هـ [١] .

جـ - الفقـه :

تحفل كتب التراجم بعدد كبير من فقهاء طرطوشة البارزين نذكر منهم : عبيد الله بن القاسم بن خلف بن هانيء الطرطوشي الذى تولى القضاء ببلده وكان حيا فى سنة ٤٦٧ هـ [٢] ، والفقيه احمد بن سعيد بن مطرف المعروف بابن الصباغ الطرطوشي (كان حيًا سنة ٤٦٤هـ) [٣]، ولعل من أبرز فقهاء طرطوشة فى ذلك العصر الفقيه ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المعروف بابن أبى رندقة (ت بالاسكندرية سنة ٥٢٠هـ) ، وكان بحق صاحب مدرسة فى الفقه المالكى ، وقد زار العديد من بلدان المشرق الاسلامى ثم استقر فى أواخر حياته بالاسكندرية وبها دفن ، ومن أبرز مؤلفاته فى الفقه : الكتاب الكبير فى مسائل الخلاف ، وكتاب شرح رسالة الشيخ أبى زيد القيروان ، وهى رسالة فى الفقه المالكى علاوة على مؤلفاته الشهيرة الأخرى مثل : كتاب سراج الملوك ، وكتاب الحوادث والبدع وغيرهما [٤] .

---

(١) ابن الآبار ، التكملة ، ج ١ ، صث ٣٤ ترجمة رقم ٩١ .
(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ترجمة رقم ٦٧١ .
(٣) ابن الآبار ، نفسه ، ج١ ، ص ٢١ ، ترجمة رقم ٤٧.
(٤) راجع التفاصيل عن الفقيه الطرطوشي فى : ابن بشكوال ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ ٥٧٦ رقم ١٢٦٩ ، أبو بكر الطرطوشي ، كتاب الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس سنة ١٩٥٩ ، مقدمه المحقق ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٦٨ ، ص ٢٧٥ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ رقم ٦١٣ ، المقرى ، أزهار الرياض ، ج ٣ ، طبعة الرباط سنة ١٩٧٨ ص ١٦٢ ١٦٥ ، جمال الدين الشيال ، ابو بكر الطرطوشي ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ ، عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة الاسكندرية ==

• - الأدب والشعر واللغة :

برع العديد من أهل طرطوشة فى الأدب والشعر ، وأبرزهم الوزير الكاتب أبو الربيع سليمان بن احمد القضاعى الطرطوشى (كان حيا سنة ٤٢٠هـ) الذى يصفه ابن بسام بأنه من كتاب العصر المتصرفين فى النظم والنثر [١] ، وكذلك يوسف بن على الطرطوشى الذى امتدحه المقرى بأنه «روض أدب لا تعرف الذواء (أى الذبول) أزهاره ...» [٢]. أما في مجال علوم اللغة فقد اشتهر منهم : محمد بن أحمد بن عامر البلوى الطرطوشى (ت بمرسيه سنة ٥٥٩هـ) ، وتنسب اليه كتب فى اللغة والأدب منها : «درر القلائد» ، وهو من أكبر كتبه ، وكتاب «حلية اللسان وبغية الانسان» ، علاوة على شغفه بالطب ، حيث الف كتابا اسماه «الشفا» [٣] .

هـ - الجغرافيون والرحالة والمؤرخون :

نذكر من الرحالة والجغرافيين : ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلى الطرطوشى، وهو رحالة يهودى الاصل ، عاش فى القرن ٤ هـ / ١٠م ، واعتمد عليه البكرى وآخرون فى مؤلفاتهم الجغرافية ، ويضيف د. مؤنس أن الرحالة ابراهيم الطرطوشى كتب رسالة الي الخليفة الحكم المستنصر وصف له فيها رحلاته في

== وحضارتها فى العصر الاسلامى ، ط ٢ ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ، جونثالث بالنثيا ، تايخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، مجلد ١ ، ص ٤٩٩ ، ابن سعيد ، المغرب ، ج٢ ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) نفح الطيب ، ج ٨ ، ص ٤٠٨ .

(٣) ابن الآبار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ رقم ١٣٦٨؛ الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

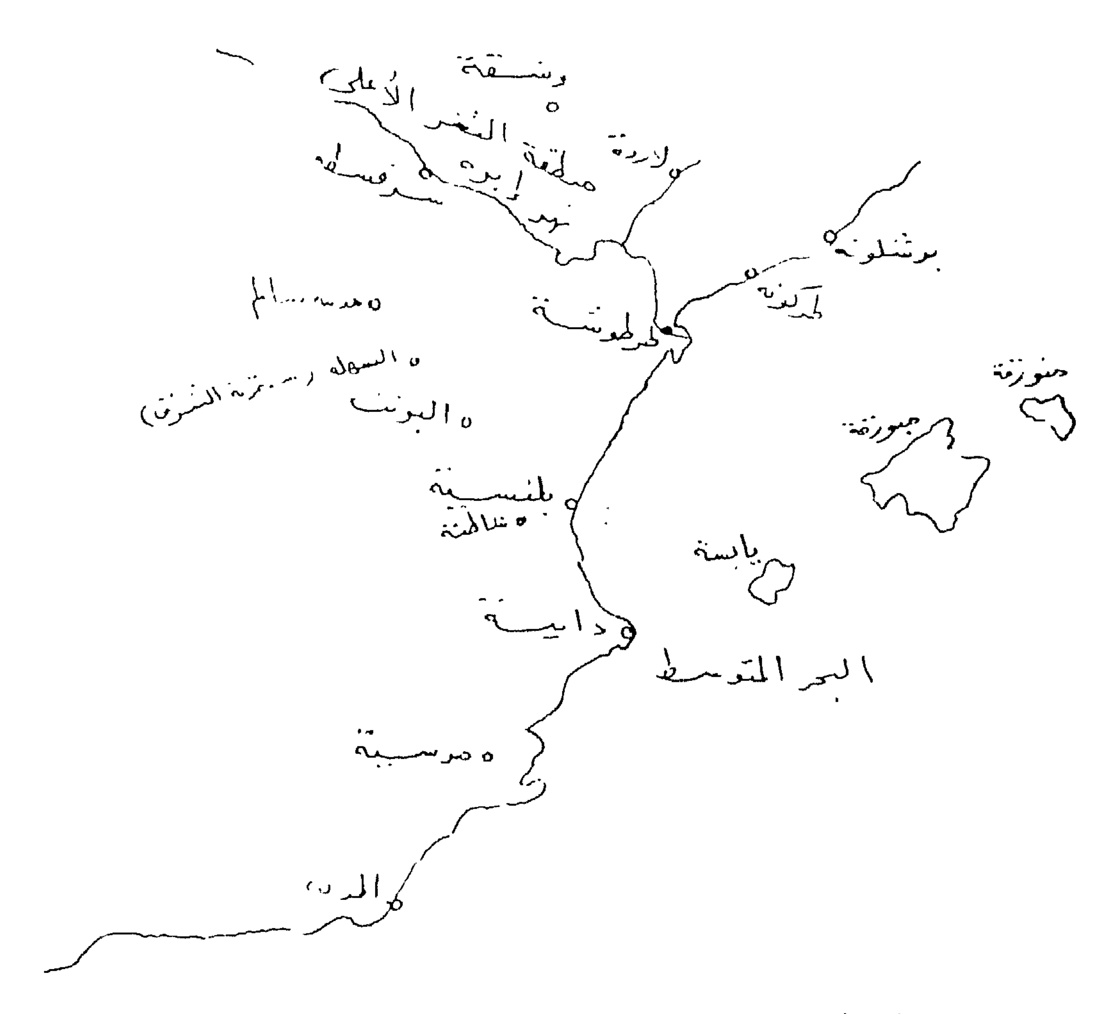
بلاد الصقالبة وشرق أوروبا وكذلك ألمانيا - على الأرجح - فى عهد الامبراطور أوتو الكبير [١]، ويرزمن علمائها فى التاريخ الأديب المؤرخ محمد بن احمد البلوى الذى تنسب اليه عدة كتب فى التايخ ، ولكنها فقدت ، ولم تصل إلينا [٢].

---

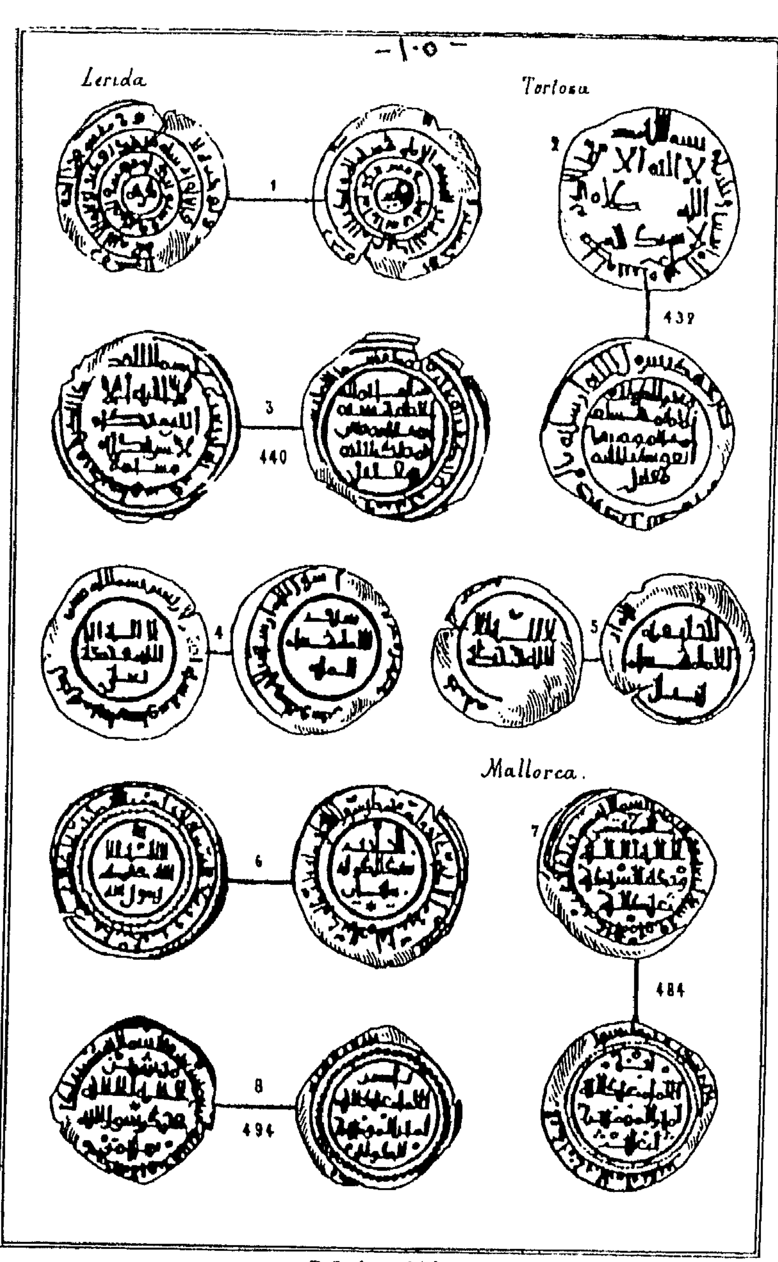
(١) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك الممالك ، تحقيق عبدالرحمن الحجى ، ص ٨٠هـ؛ حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ص ٢٧٢ ٢٧٥.

(٢) ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ ، رقم ١٣٦٨.

الخرائط والأشكال



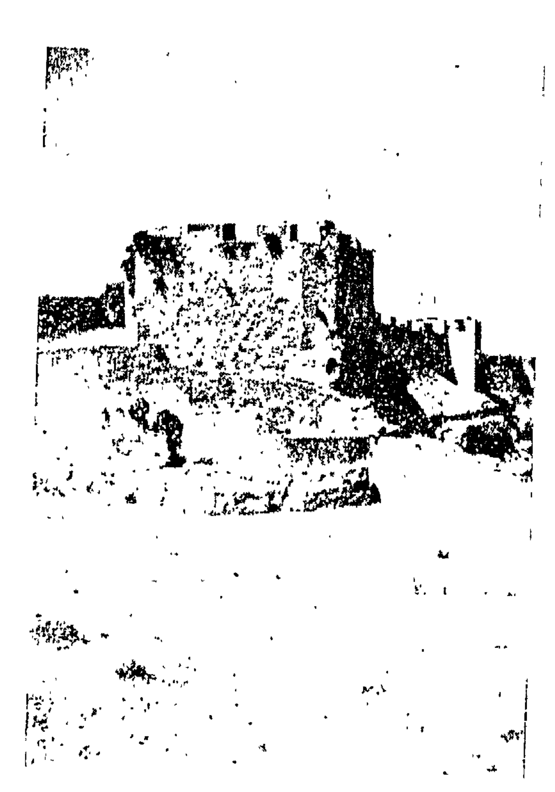
« خريطة شرق وشمال شرق الأندلس »
عن: ليفي بروفنسال »



F. Codera, Lit.

"نماذج من مسكوكات طرطوشة في عصر الطوائف"

عن: Codera y Zaidin, Tratado de numismatica



طرطوشة . أطلال القصبة الأندلسية

عن : عنان : الآثار الأندلسية الباقية

مصادر ومراجع البحث

أولا : مصادر عربية قديمة :

١ - ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٥٦م .

٢ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

٣ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، نشر محمد يوسف الدقاق ، طبعة بيروت، ١٩٨٧م.

٤ - الإدريسي : نزهة المشتاق فى اختاق الافاق ، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، بدون تاريخ .

٥ - ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، سنة ١٩٧٩.

٦ - ابن بشكوال : الصلة ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٧ - ابن حيان : قطعة من كتاب المقتبس (تتعلق بالأمير عبدالرحمن الأوسط والأمير محمد) تحقيق د. محمود مكى ، بيروت سنة ١٩٧٣.

٨ - ابن حيان : قطعة من كتاب المقتبس (تتعلق بالخلية عبدالرحمن الناصر) ج ٥ ، تحقيق شالميتا وكورينطى ، مدريد سنة ١٩٧٩ .

٩ - ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥ .

١٠- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثانى (الخاص بالاندلس) ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ .

١١ - ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٧١م.

١٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، سنة ١٩٧٠.

١٣ - ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. شوقى ضيف، طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ .

١٤ - ابن سهل الاندلسى : وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة مستخرجة من الأحكام الكبرى ، تحقيق محمد خلاف الكويت سنة ١٩٨٣م.

١٥ - ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة، نشر ليفى بروفنسال ، المعهد الثقافى الفرنسى ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .

١٦ - ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ٣ ، نشر كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٧ - ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .

١٨ - الحميدى : جذوة المقتبس ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ .

١٩ - الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٨٤م .

٢٠ - الطرطوشى : الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالب ، تونس ، ١٩٥٩.

٢١ - المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعى، بيروت ، سنة ١٩٨٦ .

٢٢ - مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد سنة ١٩٨٣ .

٢٣ - النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٢ ، (الخاص بالمغرب والاندلس) نشر جاسبار ريميرو ، غرناطة ، ١٩١٧ .

٢٤ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مجلد ٤ ، طبعة ، بيروت ، بدون تاريخ.

ثانيا : مراجع عربية حديثة ومعربة :

١ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

٢ - احمد مختار العبادى (دكتور) : الصقالبة فى اسبانيا ، نشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد سنة ١٩٥٣ .

٣ - حسين مؤنس (دكتور) فجر الاندلس ، الدار السعودية للنشر ، جده ، ط ٢ سنة ١٩٨٥ .

٤ - سحر سالم (دكتوره) : مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للاندلس فى العصر الاسلامى ، نشر مؤسسة سباب الجامعة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٩٠م.

٥ - سعيد عاشور وسعد زغلول عبدالحميد ومختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، نشر ذات السلاسل ، الكويت ، سنة ١٩٨٥ م،

٦ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) فى تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٥م.

٧ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، طبعة مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ .

٨ - كمال أبو مصطفى (دكتور) : تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية حتى سقوطها في ايدى المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بآداب الاسكندرية ، ١٩٨١ م.

٩ - كمال أبو مصطفى (دكتور) : مالقة الاسلامية فى عصر دويلات الطوائف «دراسة فى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية » ، نشر دار المعرفة ، الاسكندرية سنة ١٩٩٠م .

١٠ - ليوبولدو توريس بالباس : الأبنية الاسبانية الاسلامية ، ترجمة علية العنانى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، سنة ١٩٥٣م .

١١ - ليفى بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة فى آدب الاندلس وتاريخها ، ترجمة عبدالهادى شعيرة ، بمطبوعات جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٥١م.

١٢ - ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة د. عبدالعزيز سالم وصلاح الدين حلمى ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩ م.

١٣ - مانويل جومث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ترجمة لطفي عبدالبديع وعبدالعزيز سالم ، نشر الهيئة العامة للكتاب ، بدون تاريخ .

١٤ - محمد عبدالستار عثمان (دكتور) : المدينة الاسلامية ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت سنة ١٩٨٨م.

١٥ - محمد عبدالله عنان : الآثار الاندلسية الباقية، القاهرة سنة ١٩٥٦ م ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٦ - محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، نشر مكتبة الخانجى ، ط ٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٨٨ .

ثالثا : المراجع الاجنبية :

1- AFIF Turk, El Reino de zaragoza. madrid. 1978.

2- Aguado Bleye: Manual de historia de Espana. Madrid, 1947.

3- Andrew Handler: The Zirid of Granada. Miami. 1974,

4- Codera Y Zadin' Tratado de numismatica arabiog Espanola. Madrid, 1879.

5- David Wasserstein: The rise and fall of the party kings, New Jersey, 1985.

6- Gaspar Remiro: Historia de Murcia musulmana Zaragoza, 1905.

7- Huici Miranda: Historia msulmana de Valencia Y su region, Valencia, 1969.

8 - Hussian Mones: Essai sur la chute du Califat Umayyade de cordoue, Le Caire, 1948.

9- Levi-Provencal: Histoire de l'Espagne musulmane, paris, 1950.

10- Levi - Provencal : Inscriptions arabers de l'espagne, Paris. 1931.

11- Maria J. Rubiera: La taifa de Denia, Alicante. 1985.

12- Maria J Viguera: Aragon musulmano, Zaragoza, 1981.

13- Menendez pidal' La Espana del Cid, Madrid. 1947.

14- Prieto Y Vives: Los reyes de taifas, Madrid. 1926.

15- Torres Balbas: Ciud ades Hispano- musulmanas, Madrid.

16- Torres Balbas: Atarzanas Hispano-musulmanas, Al-Andalus, XI, 1946.

البحث الثالث
شخصيات سكندرية فى الاندلس
فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة

تمهيد :

أهتم بعض الباحثين بدراسة موضوع العلاقات التاريخية والحضارية بين مصر والأندلس ، وركزوا على التأثيرات المغربية والأندلسية فى مصر وفى الاسكندرية على وجه الخصوص ، سواء من الناحية الفنية أو الثقافية [١] .

وعلى هذا رأيت من الضرورى دراسة التأثيرات التى حدثها الطرف الاخر وأعنى بذلك التأثيرات السكندرية فى الأندلس سواء فى المجال السياسى والحربى أو الفكرى والفنى أو التجارى ، وذلك من خلال تناول بعض الشخصيات السكندرية التى كانت تتردد على الأندلس للتكسب بالتجارة أو هاجرت إليه واستوطنته وأسهمت بنصيب وافر فى الحياة السياسية والحربية والحضارية .

وقد حددت الفترة الزمنية للبحث فيما بين القرنين الثالث والسادس للهجرة ، لأن الشخصيات السكندرية التى استوطنت الأندلس ، وأمكن حصرها من خلال

---

(١) من أهم تلك الدراسات (مرتبة زمنيا وفق تاريخ النشر) :

١ - سعد غلول عبدالحميد ، الأثرالمغربى والأندلسى في المجتمع السكندري ، ضمن بحوث مجتمع الاسكندرية عبر العصور ، مطبعة جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٥ .

٢ - احمد مختار العبادي ، بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والاندلس بحث ألقى فى مؤتمر الحضارة الأندلسية ، بكلية الآداب جامعة القاهرة ، مارس سنة ١٩٨٥ .

٣ احمد الطوخى ، مصر والأندلس ، نشر مركز الدلتا للطباعة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨.

٤ - عبدالعزيز سالم ، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي فى مجال فنون العمارة والزخرفة، بحث ألقى فى مؤتمر التبادل الحضارى بين شعوب البحر المتوسط ، الاسكندرية ، يناير سنة ١٩٩٤ .

المصادر ، عاشت كلها خلال تلك الفترة - موضوع البحث - التى تعتبر من أزهى فترات الحكم الاسلامي فى الاندلس ، حيث أن الاندلس بعد القرن السادس الهجرى أصبحت منطقة طرد للسكان المسلمين ، وليست مركز جذب للمهاجرين من المشرق الإسلامى أو بلاد المغرب ، فمنذ القرن السابع الهجرى اشتدت حركة الاسترداد المسيحى La Reconquista فى الأندلس ، وسقطت معظم المدن الأندلسية فى أيدى النصارى الإسبان ، وبالتالى اضطر الكثير من علماء الأندلس الى الهجرة وخاصة إلى الاسكندرية التى استقر بها العديد من شيوخ الأندلس البارزين أمثال ، الشيخ أبو بكر الطرطوشى (ت سنة ٥٢٠هـ) والفقيه محمد بن سليمان المعافرى الشاطبي (ت سنة ٦٧٢ هـ) والشيخ الصوفى أبو العباس أحمد بن عمر المرسي (ت سنة ٦٨٦ هـ) وغيرهم كثير .

ومن الملاحظ أن هناك عدة عوامل ساعدت على هجرة الكثير من المصريين إلى الأندلس خلال فترات العصر الإسلامى منها ما يلى :

أولا : تشبع الكثير من التابعين المصريين بروح الجهاد دفاعا عن الاسلام، ورغبة فى نشره عن طريق الفتوحات ، ولذا خرجوا بصحبة القائد موسى بن نصير أمير المغرب وساهموا معه فى فتح الاندلس ، وآثر بعضهم الاستقرار فيها عقب الفتح باعتبار أنها دار رباط وجهاد وأحد ثغور الاسلام [١] .

ثانيا : العلاقات الودية التى ربطت بين الأندلس فى عصر الدولة الأموية وبين مصر ، سواء فى بعض فترات عصر الولاه ، أو فى عصر دولتى الطولونيين والاخشيديين [٢] .

---

(١) انظر الحميدى . جذوة المقتبس ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٦، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ ٤ ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت سنة ١٩٨٦ ، ص ٥٩ .

(٢) انظر . ابن تغرى ، بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، طبعة دار الكتب ، القاهرة سنة ١٩٣٠ ، ص ٨٥، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٩ ==

ثالثا : تشجيع الكثير من حكام الأندلس للعلم والعلماء وأصحاب المواهب سواء الفنية أو العملية أو الحربية ، واغداقهم الارزاق والأعطيات عليهم ، واسناد الخطط الادارية لذوى النباهة منهم (١) .

رابعا : ترحيب الخلفاء الأمويين فى عهدى الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر بالله بمن يفد عليهم من القرشيين سواء من مصر أو المشرق وقد تمتعوا بمكانة مرموقة فى المجتمع الأندلسى نظرا لنسبهم الشريف إلى قبيلة قريش (قبيلة النبى ﷺ)، وكانوا يحصلون على العطاء من ديوان قريش (٢)، فيذكر المقرى أن أبا عبدالرحمن أحمد بن يزيد القرشى المصرى (من نسل الصحابى عبدالرحمن بن عوف) كان من فقهاء مصر ، وهاجر الى الأندلس ، ونزل بقرطبة فى سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ -٩٥٥م ، حيث استقبله الخليفة عبدالرحمن الناصر بالحفاوة والاكرام (٣) .

== ص ٣٠٣ ، مختار العبادى بعض مظاهر العلاقات التاريخية ، ص ٣ ، ٤ ، احمد الطوخى ، مصر والأندلس ، ص ٢٢ ،

Makki, Ensayo Sobre Las aportactiones orientales en La, España musulmana, Revista del instituto de estudios islamicos, Madrid, 1961,
pp. 185 - 186.

(١) انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٨٤ - ٨٥ ترجمة رقم ١٨٣ ، ص ١٤٦ ترجمة ٣٣٢ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٦٥ - ٦٦ ، ١٤٠ .

(٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، نشر الدار المصرية سنة ١٩٦٦ ، ص ٧٥ ترجمة ٨٢٤، ق٢ ، ص ١١٦ ، ترجمة ١٤٠٥ ؛

Elias Terés, Linajes arabes en al-Andalus, Revista, Al Andalus. XXXII,Madrid, 1957, p. 79 & Levi - Provencal, Histoire de l'Espagne muslmane, t, III, Paris, 1950, P. 189.

(٣) ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٧ ، ترجمة ٣١٧ ، المقرى نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

خامسا : كان اشتداد الخطر الفاطمي الشيعي على مصر في أواخر عصر الدولة الأخشيدية ثم استيلاء الفاطميين عليها في سنة ٣٥٨هـ ، من اسباب لجوء بعض علماء مصر السنيين إلى بلاد الأندلس السنية في عهد الخليفة الحكم المستنصر ، وقد رحب الأمويون بكل لاجيء سياسي يفر إليهم من اضطهاد الشيعة، ومن أمثلة ذلك : الفقيه المحدث اسماعيل بن عبدالرحمن القرشي المصرى الذي وفد على الأندلس في سنة ٣٥٦ هـ - أي قبيل دخول الفاطميين الشيعة مصر - واستوطن اشبيليه ، وذاع صيته هناك كأحد الفقهاء المالكية البارزين [١] .

سادسا : نتج عن قيام الدولة الأيوبية السنية في مصر ، أن هاجرت جماعات من المصريين الشيعة أنصار الفاطميين ، إلى الأندلس . فيذكر المقرى أن الفقيه أبا المكارم هبة الله بن الحسين المصرى آثر الفرار من مصر على رأس حملة من شيعة الفاطميين عقب سقوط دولتهم على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، واستقر بالأندلس ، وحظى بثقة وتقدير الموحدين وأسندوا إليه خطة القضاء بإشبيلية في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣ [٢] م .

ومن الثابت أن العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين مصر والأندلس كانت وثيقة ومستمرة طوال العصر الاسلامي ، ويتضح ذلك فيما يلى :

أولا : في مجال العلاقات السياسية والاقتصادية :

من المعروف أن مصر قد ارتبطت بالغرب الإسلامي منذ العصر الأموي، حيث كان والى مصر الأموى يتولى أيضا حكم بلاد المغرب والأندلس ، ويؤكد

---

(١) أنظر بن بشكوال ، الصلة ، ص ٥ ١ ، ترجمة ٢٤٦، محمود مكى ، التشيع في الأندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٥٤ ، ص ١٢٤

(٢) نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٦٩ ، احمد الطوخى ، نفس المرجع السابق ، ص ٥٨ ٥٩

ذلـك قـول ابن عذارى أن عبيدالله بن الحبحـاب قدم إفريقيـة في سنة ١١٦هـ (فـي عهد الخليفة هشام بن عبدالملك) . وأصبحت ولايته تشمل مصر والمغرب والأندلس [١] .

كذلك أشارت بعض المصادر إلى أن جيش الشام - بقيادة بلج بن بشر القشيرى الذى دخل الأندلس لمساعدة واليها عبدالملك بن قطن ضد البربر - كان يضم أيضا أعدادا كبيرة من عرب مصر الذين قاموا بدور مهم فى القضاء على ثورة البربر ضد العرب في الأندلس [٢] . إلى أن تولي أبو الخطار الحسام ابن ضرار الكلبى حكم الأندلس فى سنة ١٢٥هـ ، ٧٤٣م ، فوضع حدا لتلك الفتن والحروب الداخلية ، وقام بتوزيع الجند العرب على مختلف الكور (الأقاليم) الأندلسية فأنزل عرب مصر فى تدمير (مرسيه Murcia) بشرق الأندلس وباجة (Beja) واكشونبة (Ocsonoba) بغرب الأندلس ، وهى مواضع تشبه إلى حد كبير مواطنهم الأصلية [٣] .

ورغم العداء السياسى الذى كان يطرأ أحيانا بين الدولتين فى بعض الفترات، إلا أنه لم يكن عائقا أمام الاتصال الاقتصادى بينهما ، خاصة وأن مصر كانت معبرا للحجاج والتجار الأندلسيين فى طريقهم إلى الحجاز أو المشرق لأداء فريضة الحج والتجارة [٣] . فهناك ما يشير إلى أن العلاقات التجارية بين

---

(١) انظر البيان المغرب ، ج ١ ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٨٠ ص ٥١ ، مختار العبادى ، بعض مظاهر العلاقات التاريخية ، ص ١ ، مصطفى السعيد ، الروابط الثقافية بين اسبانيا ومصر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٠ ، احمد الطوخى ، نفسه ، ص ١٥ .
Makki, Ensayo Sobre las aportaciones, pp 179 180

(٢) مؤلف مجهود ، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى دار الكتاب المصرى واللبنانى ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٦ ؛
Makki, op.cit, p. 180.

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بدون تاريخ ، ص ٤٤؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٣.
Gaspar Remiro, Murcia musulmana, Zaragoza, 1905 p. 44 & Levi Provencal, Histoire de L'espagne, t. I p. 49

مصر والأندلس كانت مستمرة . فتذكر المصادر أنه فى نهاية القرن الثانى الهجرى كان غزاة البحر الأندلسيون يترددون بسفنهم على ميناء الاسكندرية، لابتياع ما يلزمهم من عتاد ومؤن وطعام دون السماح لهم بالدخول إلى المدينة، حيث كان تجار الاسكندرية يخرجون إليهم ببضائعهم لتزويدهم مما يحتاجون إليه [١] .

ويؤكد المؤرخ المصرى ابن تغرى بردى على وجود نوع من التحالف العسكرى بين الأمير هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل (١٧٢ - ١٨٠هـ) وبين عبدالله بن المسيب والى مصر العباسى فى سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م (أى فى عهد الخليفة هارون الرشيد) ، ويضيف بأن هذا التحالف لم يستمر طويلا، اذ سرعان ما أمر الخليفة العباسى بعزل ابن المسيب فى نفس السنة (١٧٧هـ) [٢] .

ورغم أن رواية ابن تغرى بردى تتسم بالمبالغة ، إلا أن لها دلالة على أن العلاقات لم تكن عدائية بين مصر فى عهد هذا الوالى العباسى وبين الأندلس الأموية فى عهد الأمير هشام الرضا .

== وانظر ايضا : عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ، ص ١٦٢ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، نشر الدار السعودية، جدة سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٦٠ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٩٤؛

وراجع ايضا بحث : عبدالعزي سالم ، العلاء بن مغيث الجذامى الثائر على دولة بنى أمية فى الأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٩ ، ص ٧٥ - ٧٧.

(١) انظر : الكندي ، الولاة والقضاة ، نشر رفن جست ، بيروت سنة ١٩٠٨ ، ص ١٥٨، المقريزى، الخطط ، ج ١، طبعة القاهرة . ج١ ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٧٢ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، دار المعارف سنة ١٩٦٩ ، ص ١٢٨ ، سعد زغلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب الغربى ، ج ٢ ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٢٢٨ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٩٩،
Makki. Ensayo borbre las aportaciones. p. 181

(٢) انظر النجوم الزاهرة ج٢ ، ص ٨٥ ،

وعندما ضعفت الخلافة العباسية فى العصر العباسى الثانى منذ منتصف القرن الثالث الهجرى ، واستقلت الكثير من ولايتها توطدت العلاقة السياسية والاقتصادية بين مصر الطولونية والأندلس ، خاصة بعد نشوب العداء بين أحمد ابن طولون والأمير الموفق العباسى (ولى العهد) وساعد هذا بالتالى على التقارب بين الدولة الطولونية فى مصر والدولة الأموية فى الأندلس ، واستمرت تلك العلاقات الودية قائمة فى عصر الدولة الأخشيدية ، بسبب عدائهما المشترك للفاطميين الشيعة فى المغرب ، ونتيجة لذلك كان العلماء والتجار والرحالة وطلاب العلم يتنقلون فى حرية تامة بين كلا البلدين (١) .

وبعد سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام دويلات الطوائف (القرن ٥هـ/ ١١م) تحسنت العلاقات بين مصر الفاطمية والأندلس ، ففى تلك الفترة أرسل إقبال الدولة على بن مجاهد العامرى صاحب دانية (٤٣٦-٤٦٨هـ/ ١٠٤٥ - ١٠٧٦) إلى أهل مصر سفنا تحمل امدادات من المؤن والغلال ، مساعدة لهم فى مواجهة المجاعة التى حلت بمصر فى سنة ٤٥٧ هـ ، والتى استمرت سبع سنين فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ، والمعروفة باسم الشدة العظمى أو الشدة المستنصرية (٢) ، وقد أعاد الفاطميون هذه السفن محملة بالعتاد الحربي لمساعدة الأندلسيين فى جهادهم ضد النصارى الإسبان ، كذلك تبادل على بن مجاهد الرسائل الودية مع الخليفة المستنصر الفاطمى ،

---

(١) انظر : ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٥٦ ، ترجمة ١٠٤٩ ، مختار العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٠٣ ، احمد الطوخى ، ص ٢٢ ، ٢٣.

(٢) راجع التفاصيل فى : المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، القاهرة سنة ١٩٥٧ ص ٢٤ وما يليها ، جمال الدين سرور ، مصر فى عصر الفاطميين (ضمن موسوعة مصر الاسلامية) ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٣، ص ٣١٩، ٣٢١، مختار العبادي ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

والتى عبر فيها ابن مجاهد عن رغبته فى الدعاء للخلافة الفاطمية [١].

ومن جهة أخرى ألمح ابن بسام إلى بعض الشخصيات الأندلسية التى وفدت على مصر الفاطمية ، واستقرت بها فترة من الزمن (خلال القرن ٥هـ / ١١م) ثم عادت إلى وطنها الأندلس ، واشتهر أمرها هناك وتولت العديد من الخطط الإدارية [٢].

ثانيا : فى مجال العلاقات الثقافية :

كانت دول البحر المتوسط فى الواقع على اتصال وثيق فيما بينها فى المجال

---

(١) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة ، الدار البيضاء سنة ١٩٧٩ ، ص ٧٧؛ ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، ق ٢ ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٥٤ ، محمود مكى ، التشيع فى الاندلس ، ص ١٢٩ ، مختار العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٥٧ ، ص ٢١٧ ٢١٩ ، مصطفى السعيد ، نفسه ص ١١ ، احمد الطوخى ، نفسه ص ٣١ ٣٣ ، كليليا سارنللى، مجاهد العامرى ، القاهرة ، القاهرة سنة ١٩٦١ ص ٢٦٣ ٢٦٤

Maria J. Rubiera, La Taifa de Denia, Alicante, 1985, p. 101

(٢) انظر الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ،ق ٤ ، مجلد ١ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٩، ص ٣٤٢ ٣٤٣

اشار ابن بسام الى بعض هؤلاء الأندلسيين الذين رحلوا الى مصر فى العصر الفاطمى ومنهم الوزير الحكيم أبو محمد عبدالله بن خليفة القرطبى المعروف بالمصرى ، لطول إقامته بمصر ، وامتدحه بقوله بأنه «شيخ الفتيان وخاتمة أصحاب السلطان »

وكان قد رحل الى مصر واسمه خامل ، ثم لم يلبث أن عاد إلى وطنه الأندلس «وقد نشأ خلقا جديدا » وبرع فى الطب علاوة على درايته بالأدب والشعر ، وخدم للمأمون بن ذى النون صاحب طليطلة ثم للمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الى أن توفى فى سنة ٤٩٦هـ انظر (الذخيرة ق ٤ ، مجلد ١ ، ص ٣٤٢ وما يليها ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب تحقيق شوقى ضيف ج ١ طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ ص ١٢٨ ١٣١

(١) انظر الزهرى كتاب الجغرافية، ص ٥ رحلة ابن بطوطة تحقيق طلال حرب بيروت سنة

الثقافي طوال العصر الوسيط ، وقد ساعد موقع مصر الجغرافي على توطد علاقتها الثقافية مع بلدان هذا البحر وخصوصا بلاد المغرب والأندلس ، حيث كانت الاسكندرية باب المغرب ، وتتوسط بين المشرق والمغرب الإسلامي على حد قول المصادر الجغرافية [١] .

وكانت الرحلات العلمية من أهم العوامل التى ساعدت على تحقيق الاتصال الفكرى بين المشرق والمغرب الإسلامي ، فانتقلت المؤلفات والأفكار بحرية من منطقة إلى أخرى ، ونتج عن ذلك ما يمكن أن نسميه بالاندماج الثقافى [٢] .

ومما يدل على تلك الصلات الثقافية التى ربطت بين مصر والأندلس أن عددا كبيرا من الأندلسيين رحل إلى مصر والاسكندرية بصفة خاصة لطلب العلم على أيدى علماء وشيوخ مصر المشهورين ، وخصوصا فى الفقه ، حيث أنه بعد وفاة الامام مالك بالمدينة ، أصبحت الفسطاط والاسكندرية من أهم مراكز الفقه المالكى السنى [٣] .

كذلك انتقل مذهب الامام المصرى الليث بن سعد (ت سنة ١٧٥هـ) إلى الأندلس ، وعمل به هناك إلى جانب المذهب المالكي ، رغم أن مذهب الأمام الليث لم يقدر له البقاء طويلا بمصر [٤] .

١٩٨٧ ، ص ٣٩ .

(٢) انظر مصطفى السعيد ، الروابط الثقافية بين اسبانيا ومصر ، ص ٨ .

Makki, op.cit., p. 183.

(٣) ابن الفرضى ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٩١ - ٩٣ ترجمة ١٣٦٠ ؛ سعد زغلول عبدالحميد ، الأثر المغربى والأندلسى ، ص ٢٢٩ ، حسن أحمد محمود ، حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ مصطفى السعيد ، نفسه ص ١٢ ، أحمد الطوخى نفسه ، ص ٦٦ وما يليها .

(٤) راجع التفاصيل عنه فى السيوطى ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، ج١ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ٣٠١ ، احمد الطوخى ، نفسه ، ص ٦٢ - ٦٣.

Makki, op.cit., p. 188 - 599.

(١) انظر ابن الفرضى ، نفسه ، ق ١ ، ص ١١٢ ترجمة رقم ٣٤٩ وحول الصلات الثقافية

وجدير بالملاحظة أنه رغم العداء السياسي والمذهبي بين مصر الفاطمية والأندلس الأموية ، إلا أن ذلك لم يحل دون الاتصال الثقافي بنهما . فهناك إشارات عديدة في كتب التراجم إلى رحيل بعض الأندلسيين إلى مصر للتدريس في جوامعها [١] . بل أن أحدهم ويدعى ابن القرطبي [٢] استقر بمصر ، وتولى رئاسة الفقهاء المالكية هناك ، وكان هذا الفقيه الأندلسي على صلة وثيقة بالخليفة الأموي المستنصر بالله ، لموقفه العدائي من الفاطميين الشيعة الذين كانوا في تلك الأثناء لا يزالون بالمغرب [٣] .

ومما لا شك فيه أن الموقع الجغرافي المتميز لمدينة الاسكندرية قد هيأ لها أن تكون محط رحال الأندلسيين الذين وفدوا إليها على هيئة علماء ومتصوفه وتجار وطلاب علم ، ولذا حفلت كتب التراجم بالعديد من أسماء الأندلسيين الذين نزلوا بالاسكندرية واستوطنوها خاصة في أعقاب سقوط معظم المدن الأندلسية في

والحضارية بين الأندلس ومصر في العصر الفاطمي راجع التفاصيل في

Mikel de Epalza, El esplendor de al Andalus reflejo del esplendor Fatimi, en actas del IV Coloquio Hispano-Tunecino, Madrid, 1983, pp 80 81

(٢) هو ابو اسحاق محمد بن القاسم العنسي المعروف بابن القرطبي ، كان رأس الفقهاء المالكية بمصر في وقت ، واحفظهم لمذهب الامام مالك ، علاوة على درايته بالادب وعلم التاريخ ، ويصفه ابن فرحون بأنه كان واسع الزواية كثير الحديث ، ومن مؤلفاته : كتاب الرواة عن مالك ، وكتاب المناسك ، وكتاب في مناقب مالك ، وغيرها . وكان هذا الفقيه الأندلسي الأصل شديد العداء للفاطميين الشيعة ، كثير الذم لهم ، وكان يدعو على نفسه بالموت قبل مجيء دولتهم ، وقد توفي بمصر في سنة ٣٥٥هـ قبيل استيلاء الفاطميين على مصر انظر (ابن فرحون ، الديباج المذهب ، في معرفة أعيان علماء المذهب ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٨ ٢٤٩)

(٣) انظر : ابن فرحون ، نفسه ، ص ٢٤٨ ، العبادي ، بعض مظاهر العلاقات ، ص ٤٤

Makki, op cit , p 186

(١) ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ج١ ، ص ٢٦٨ ، ج٢ ، ص ٣٨٤ ، ٤٢٤ ، المقرى ، نفح

أيدى النصارى الإسبان (فى القرن ٧هـ / ١٣م) [١].

أما فيما يختص باسهامات السكندريين فى المجتمع الأندلسى ، فإن ما وصلنا من إشارات عنهم يتسم بالقلة والايجاز ، وعلى الرغم من ذلك فإنه عن طريق كتب التراجم والمصادر التاريخية وشواهد القبور إمكن إلقاء بعض الضوء على الأثر السكندرى فى الأندلس فى العصر الإسلامى ، حيث برزت خلال فترات مختلفة شخصيات سكندرية كان لها دورها الملموس سواء فى المجال الإدارى والحربى أو فى الحركة الفكرية والفنية وكذلك فى التجارة الخارجية .

(١)

اسهامات سكندرية فى المجال الادارى والحربى

يعتبر الوزير القائد عبدالواحد بن يزيد الاسكندرانى أبرز شخصية سكندرية دخلت الأندلس فى عصر الدولة الأموية ، فقد استطاع خلال فترة وجيزة أن يرتقى إلى أعلى المناصب الكبرى فى قرطبة حاضرة الأمويين فى الأندلس .

ويرجع الفضل إلى المؤرخ ابن حيان القرطبى فى تزويدنا بمعلومات قيمة حول شخصية عبدالواحد الاسكندرانى ، وأوليته فى الأندلس ، فيذكر أنه وفد على قرطبة فى أوائل عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط (بويع سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م)، وكان حدثا متظرفاً يميل إلى الأدب ، ويشدو شيئا من الغناء ، فاتصل بالحاجب

الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٩ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، دار المعارف سنة ١٩٦٧ ، ص ٥٠ - ٥١ سعد زغلول ، الاثر المغربى ، ص ٢٣٦ وما بعدها ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية ص ٤٧٥ هـ ١ ، أسامة حماد ، الاسكندرية فى عصر دولتى سلاطين المماليك ، ج ٢ ، ص ٩٨٥ .

عيسى بن شهيد [١] ، الـذى توسم فيـه النجابـة والذكاء والكفاية ، فنصحه بأن يمسك عـن الغنـاء ويكتفي بأدبـه ، فامتثل الاسكندرانـي لنصح الحاجب الـذى وثق بـه ، وحظى لديه بمكانة رفيـعـة ، وأوصله بدوره الى الأمـيـر عبدالرحمن الأوسط الذي اعجب به وأدنـى منزلته ، وجعلـه من خاصته ، ثم أسنـد إليـه خطة صاحب المدينة [٢] بالحاضرة قرطبـة ، ورقاه بعد ذلك إلى

---

(١) هو الوزير الحاجب عيسى بن شُهيد بن عيسى بن شهيد الوضاح ، ينتسب إلى بنى شُهيد ، من أكبر البيوتات الأندلسية ، وأوسعها شهرة فى عصر الدولة الأموية ، حيث تولى أفرادها لأمراء بنى أمية وخلفائهم العديد من الخطط الكبرى فى الدولة مثل الحجابة والوزارة الكتابة وقيادة الجيوش . وكان جدهم شهيد بن عيسى - على الأرجح من موالى معاوية بن مروان بن الحكم ، ودخل الأندلس فى عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية (الداخل، وكان أحد المقربين إليه.. أما ابنه عيسى - المذكور هنا - فقد خلف أباه في منزلته لدى الأمويين فكان أحد كبار رجال دولة الأمير عبدالرحمن الأوسط الذى ولاه العديد من المناصب مثل القيادة والحجابة التى ظل يتولاها حتى أوائل عهد ابنه الأمير محمد . انظر : (ابن القوطية، نفسه ، ص ٨٨ - ٨٩؛ ابن حيان، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٢٦ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ هـ ٨٦ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ، ص ٣٢٧ - ٣٣٨ ؛ ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج١ ، ص ٥٠ ،

Levi-provencal, L'Espagne muulmane au Xeme Siecle, Paris, 1932, pp. 101 - 103.

وراجع ايضا : حمدى عبدالمنعم محمد ، مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الاموية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٩٤ ، ٩٧) .

(٢) صاحب المدينة (Zalmedina) يتضح من المصادر الأندلسية أن مهام صاحب المدينة بقرطبة كانت متعددة ، فمنها انه يقوم بأخذ البيعة العامة فى جامع قرطبة للأمير أو الخليفة، وينوب عنه أثناء غيابه عن الحاضرة ، وأحيانا يقود الجيش فى الحرب ، كما كان يشرف على السجون، وجباية ضريبة العشور المفروضة على أهل قرطبة ، وكذلك المحافظة على الآداب العامة بالمدينة، والإشراف على تنفيذ الأحكام التى يصدرها القاضى ، حيث كان أعوان صاحب المدينة هم الذين يقومون بتنفيذ تلك الأحكام.

انظر : (ابن القوطية ، نفسه ص ٩٩، ١٠٠ ؛ ابن حيان قطعة من المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن الحجى ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٧٧؛ مؤلف مجهول، مدونة الخليفة عبدالرحمن الناصر، نشر ==

الوزارة والقيادة [١] .

وقد ساهم الوزير القائد عبدالواحد الاسكندرانى فى اخماد بعض الفتن والثورات الداخلية التى اندلعت فى عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط ، ومن ذلك قيادته للحملة الأموية الموجهة إلى طليطلة (Toledo) فى سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م لاخماد ثورة أهلها الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومة المركزية بقرطبة ، فبعث إليهم الأمير عبدالرحمن بقوة عسكرية من قلعة رباح Calatrava - جنوبى طليطلة - حاصرت المدينة وقطعت عنها الميرة ، مما أرهق أهلها ، وعقب ذلك زحف إليهم القائد الاسكندرانى بجيشه ، وتمكن من اقتحام أسوار طليطلة وفتحها عنوه فى شهر رجب سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م ، ثم قام بتنظيم أمورها ، وأمر بتعمير وتحصين القلعة (القصبة) التى أسسها عمروس الوشقى [٢] فى عهد

== ليفى بروفنسال وغرسيه غومث ، مدريد ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٣٠ ، ابن عبدون الاشبيلى ، رسالة فى القضاء والحسبة، نشر ليفى بروفنسال ، المعهد الفرنسى ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ١٦ - ١٧، ليفى بروفنسال ، المدن. والنظم المدنية فى المغرب الإسلامى ، ضمن سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥١ ، ص ٨١ ، عبدالعزيز سالم ، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الاندلس ، الاسكندرية سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٢٨ ؛ حمدى عبدالمنعم ، مجتمع قرطبة ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛

Joaquin Vallve, El Zalmedina de Cordoba, Revistal Al-Qantara, Vol, II, Fasc 1-2, Madried 1981, pp. 277 - 278.

(١) انظر : ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) هو عمروس بن يوسف الوشقى المولد ، من زعماء المولدين فى عهد الأمير الحكم الأول (الربضى)، بن هشام الرضا (١٨٠ - ٢٠٦هـ) ، أصله من مدينة وشقة (Huesca) بالثغر الأعلى (شمال شرق الأندلس) ، ويرد ذكره فى المصادر اللاتينية باسم (Amores) بينما تطلق عليه الحوليات الفرنجية Amorroz ، وكان عمروس الوشقى فى بداية أمره غلاما لعيشون الأعرابى والى جرنده Gerona ثم التحق بخدمة مطروح بن سليمان الأعرابى الثائر ببرشلونة وسرقسطة عهد الامير عبدالرحمن الداخل . وقد غدر عمروس بسيده مطروح واشترك فى قتله مما أحظاه لدى الأمويين ، فوفد على حضرة قرطبة ، وتمتع بمنزله رفيعة فى عهد الأمير الحكم ==

الأمير الحكم الربضي عند باب الجسر ، واعاد بذلك الهدوء والاستقرار الى تلك المدينة التى طالما أزعجت الأمويين بثوراتها المستمرة [1].

ولم يقتصر دور القائد عبدالواحد الاسكندراني على اخماد الثورات الداخلية، بل شارك أيضا فى الجهاد ضد النصارى الاسبان والفرنجة ، وأبلى فى ذلك بلاء حسنا . ففي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ - ٨٤١م أرسل ابنه المطرف وبصحبته القائد الاسكندراني الذى أنزل الهزيمة بنصارى جليقية، وعاث فى أراضيهم وأحرق مزارعهم وعاد ظافراً الى الحاضرة قرطبة [2] .

= = الربضي ، فأسند اليه ولاية طليطلة ولجح فى اخماد ثورة اهلها فى موقعة الحفرة الشهيرة فى سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م ثم قام عقب ذلك بالقضاء على ثورة بهلول بن مرزوق بسرقسطة فى سنة ١٨٦ هـ/٨٠٢) وكافأه الأمير الحكم على خدماته بأن ولاه سرقسطة (قاعدة الثغر الأعلى) فى سنة ١٨٨١هـ/ ٨٠٤م، وظل على ولايتها عدة سنوات ، تمكن خلالها من إعادة الأمن والاستقرار الى منطقة الثغر الأعلى الأندلسي ، انظر (ابن القوطية ، نفسه ،ص ٦٤ ، ابن حيان، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٦٠٨ هظ ٥٣٠ ، العذرى ترصيع الأخبار ، تحقيق عبدالعزيز الأهواني ، مدريد سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٧ ٢٨؛

Simonet, Historia de los Mozarabes de España, Madrid, 1903, pp. 300 301.

وراجع ايضا : حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٨ ؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٢٢، ٢٢٥ ، مختار العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ ، كمال أبو مصطفى ، المولدون فى منطقة الثغر الأعلى الأندلسي ، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية سنة ١٩٨٨ ، ص ٤٥٦ ، ٤٨٧) .

(١) انظر ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، طبعة بيروت ١٩٨٧ ، ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ج ٢٣ ، تحقيق احمد كمال زكى ، القاهرة سنة ١٩٨٠ ، ص ٣٨٠ ، ابن خلدون ، العبر ج ٤ ، طبعة بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ١٢٨ ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٢٣١ ، عبدالله عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الاول ق ١ القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، ج٢ ، ص ٨٦ .

Levi Provencal, Histoire, t I, p 206

ويصف الحوليات الفرنجيه والقطلانيه أنه في سنه ٢٢٧هـ / ٨٤١م أمر عبدالرحمن الاوسط بانفاد حملة عسكرية إلى الثغر الإسباني La Marca Hispanica (قطالونيــة Cataluna) وأسند قيادتها إلى عبدالواحد الاسكندراني الذي توغل داخل الأراضي الفرنجية بقطالونية ودمر بعض حصونهم بإقليم شرطانية [١]، والمنطقة الشرقية لجبال البرتات ، ووصل في زحفه حتى حدود أربونه Narbonne بجنوبي بلاد غالة [٢]

كذلك المحت المصادر الأندلسية إلى جهود القائد عبدالواحد الاسكندراني أثناء غاره النورمانديين [٣] على سواحل الأندلس الغربية في عهد الأمير

---

(١) شرطانية أو سرطانية (بالاسبانية Cardena)، يقصد بها تلك المنقة الواقعة إلى الجنوب مباشرة من جبال البرتات الشرقية ، متاخمة لحدود بلاد غاله (فرنسا) ، انظر : (قطعة من المقتبس ، تحقيق محمد مكي ، ص ٦١ ، ص ٥٣٢)

(2) Levi Provencal. Histoire de L'Espagne musulmane t 1 p 212

(٣) النورمانديون أو الأردمانيون يقصد بهم النورمان (Normans) ، وقد أطلق المسلمون عليهم اسم المجوس لأنهم كانوا يشعلون النار في كل موضع يمرون به وربما كانوا يحرقون بها جثث الموتى من قادتهم . فاعتقد المسلمون أنهم يعبدون النار كالمجوس ، وكذلك عرفوا في المصادر الاوربية باسم الفايكنج (Vikingos) أي سكان الخلجان، لهذا اطلقت على سكان شبه جزيرة اسكنديناوه لكثرة خلجانها . التي استخدمت مراكز يشن منها هؤلاء القراصنة غاراتهم البحرية على السواحل الضعيفة . وأصل هذا الشعب جرماني أو تيوتوني ، وهو من الأجناس الآرية القديمة، وكان ينقسم إلى ثلاث مجموعات : السويديون والنرويجيون والدنماركيون (الدانيون)، والمجموعة الأخيرة هي التي هاجمت سواحل الأندلس والمغرب في عصر الدولة الأموية خصوصا في القرن ٣ هـ / ٩م انظر التفاصيل عنهم في

(Levi-provencal. Histoire. t.I. p 219).

فشر . تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ج١ ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، والباز العريني ، دار المعارف ، سنة ١٩٧٦ ص ١١٥ ، وما يليها حسين مؤنس ، غارات النورمانديين على الأندلس ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سنة ١٩٤٩ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، مختار العبادي وعبدالعزيز سالم . تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر المتوسط ، ج ٢ ، الاسكندرية بدون تاريخ ص ١٥٢ - ١٥٣ ، سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ، ==

عبدالرحمن الأوسط ، ففي سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤ - ٨٤٥م تقدمت مراكب النورمانديين من ساحل أشبونة (Lisboa) نحو إشبيليه (Sevilla) فنزلوا أولا بقادس (Cadiz) ثم شذونة (Medinasidonia) وناشبهم المسلمون القتال ، ثم احتلوا بجزيرة قبطيل [1] قرب اشبيليه ، وأقاموا بها ثلاثة أيام ، اتجهوا بعدها الى قرية قورة ، ودارت هناك معركة بينهم وبين المسلمين بحصن قورة [2] أسفرت عن هزيمة المسلمين بالحصن ، ثم دخل النورمانديون طلياطة [3] ، فنزلوها ليلا وزحفوا منها إلى إشبيليه ، التي لم يستطع أهلها الصمود امام الهجوم النورماندى ، وقتل الكثير من المسلمين ، ودخلوا إثر ذلك الحاضرة إشبيليه ، التى عاثوا فيها نهبًا وقتلا وتخريبا ، وأحرقوا أسقف جامع إشبيلية ، في الوقت الذى استنفر فيه الأمير عبدالرحمن الأوسط المسلمين للجهاد ، فخرج جيش كبير من الحاضرة قرطبة على رأسه الحاجب عيسى بن شهيد وكبار القادة أمثال

== ج١ ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، الحاشية ص ٢٤٤ ، محمد أبو الفضل حول السفارات الأندلسية الى دول اوربا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، سنة ٨٣ ١٩٨٤ ، ص ٨١ - ٨٤.

(١) جزيرة قبطل (Captel) تعرف الآن باسم Isla Minor أى الجزيرة الصغيرة ، ويصفها ابن سعيد بأنها جزيرة فى نهر اشبيلية (الوادى الكبير) تمتاز بالخصب ، انظر: (المغرب فى حلى المغرب) ، ج ١، ص ٢٩٢ ، عبدالعزيزسالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٥)

(٢) قورة (بالاسبانية Coria del Rio) :إحدى قرى إشبيلية وتبعد عنها بمسافة إثنى عشر ميلا، انظر (العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ٩٩) ؛

Levi Provencao. Historie, t.I, p. 220.

(٣) طلياطة (Tablada) : تقع على مسافة عشرين ميلا إلى الجنوب من إشبيلية، انظر (العذرى ، نفسه ، ص ٩٩) .

عبدالواحد الاسكندراني وابن كليب [١] وابن رستم [٢]، ودارت معركة بين الطرفين ثبت فيها المسلمون ، وأنزلوا الهزيمة بالنورمانديين الذين فروا إلى مراكبهم ، ولم تلبث امدادات أخرى أن وصلت من قرطبة ، ودارت الموقعة الحاسمة عند بلدة طلياطه ، هزم فيها النورمانديون ، وقتل منهم نحو الخمسمائة من بينهم قائد اسطولهم، كما أحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا واضطروا عقب ذلك إلى الإنسحاب إلى لبة (Niebla)، ومنها توجهوا إلى أشبونة حيث انقطع خبرهم [٣] .

---

(١) هو عبدالله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي ، ينتسب إلى أحد البيوتات الأندلسية المعروفة واشتهر منها عبدالله هذا واخوته عامر ومحمد وعبدالملك وعبدالرحمن ، فقد ولى الأولان القيادة للأمير عبدالرحمن الأوسط ، إذ اسند الى عبدالله بن كليب ولاية سرقسطة كما قلد أخاه عامر بن كليب على تطيله فى سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١م ، وفى العام التالى (سنة ٢٢٧هـ) عزل عبدالله من سرقسطة ، ويرجح أنه انتقل بعد ذلك الى ولاية تطيلة . انظر (ابن حيان، قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكى ، ص ٤٦ - ٤٠٧هـ ٢ ، العذرى ، نفسه ص ١٠٠ ؛ ابن عذارى ، نفسه ج ٢ ، ص ٨٧) .

(٢) هو الوزير القائد محمد بن سعيد بن رستم ، ينتسب إلى اسرة بنى رستم التى ولى أفرادها الوزارة والقيادة للأمويين فى الأندلس وجدهم الاعلى هو عبدالرحمن بن رستم الفارسى (مولى الغمر بن يزيد بن عبدالملك الأموي) مؤسس الدولة الرستمية الخارجية فى تاهرت بالمغرب الأوسط، التى كانت ترتبط مع الدولة الأموية فى الأندلس بعلاقات المودة والصداقة ، وكان أول من دخل الأندلس من بنى رستم هو سعيد بن محمد بن عبدالرحمن بن رستم حفيد منشىء الدولة الرستمية ، واتصل ابنه محمد بن سعيد بن رستم - المذكور - بالأمير عبدالرحمن الأوسط الذى جعله من خاصته ، وأسند إليه الوزارة والقيادة ، كما تولى طليطلة فى سنة ٢١٤هـ ، وقد توفى فى سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م. أنظر (المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ٤٤٨ - ٤٤٩ هـ ٨٧، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٣) انظر : ابن القوطية ، نفسه ص ٧٨ - ٨١ ، العذرى ، نفسه ص ٩٨ - ١٠٠ ، ابن الأثير الكامل ، ج٦ ، ص ٨٣ - ٨٤، ابن دحية ،المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى وحامد عبدالمجيد واحمد بدوى ، القاهرة سنة ١٩٥٤ ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ١٢٩؛

== Levi-Provencal, Historie, t. I, pp. 219 - 224.

وبعد نجاح المسلمين فى صد تلك الغارة النورماندية على سواحل الأندلس الغربية، بدأ الأمير عبدالرحمن الأوسط يتفرغ لمواصلة الجهاد ضد النصارى الإسبان فى الشمال ، فبعث بصائفة فى سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨ - ٨٤٩م على رأسها ابنه المنذر ، وشاركه فى القيادة عبدالواحد الاسكندرانى ، ويذكر ابن الأثير أن من أهداف تلك الحملة مهاجمة منطقة ألبه Alava (أقصى شمال الأندلس) وردع سكانها النصارى ودرء خطرهم عن الثغور الأندلسية المتاخمة لهم [١] . ولم يلبث الوزير القائد عبدالواحد الاسكندرانى أن توفى فى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١ - ٨٥٢م أى بعد سنوات ثلاث مضت على الحملة المذكورة ، وسجل ببطولاته واسهاماته العسكرية صفحات كبيرة فى التاريخ الإسلامى بالأندلس [٢] .

وجدير بالملاحظة أن المصادر العربية لم تزودنا بأية معلومات عن ذرية هذا القائد السكندرى المشهور ، باستثناء اشارة موجزة أوردها المؤرخ ابن عذارى المراكشى ألمح فيها إلى أحد احفاده ويدعى عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد الاسكندرانى الذى توفى فى أوائل عهد الخليفة عبدالرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) فى سنة ٣٠٩هـ [٣] ، ومن المرجح أنه كان من ذوى النباهة فى الحاضرة قرطبة ، ولعله من الشخصيات المرموقة والمقربة من الخليفة عبدالرحمن

= عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧، مؤنس ، غارات النورمانديين ، ص ٢٨ ، وما يليها ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٨ - ١٥٠ ، عنان نفسه ، العصر الاول ، ق ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٤ ، محمد أبو الفضل ، حول السفارات الأندلسية ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(١) انظر ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢ ؛ ابن الأثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١٠٦ .

(٢) ابن حيان ، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٨٧ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

الأوسط ، خاصة وأن ابن عذارى لا يذكر فى كتابه سوى وفيات ذوى الشأن من الوزراء والكتاب والقادة والعلماء فى عصر بنى أمية .

ومن الشخصيات السكندرية أيضا فى مجال الإدارة : أبو العباس السكرى الاسكندرانى ، الذى أثنى عليه بن حيان ووصفه بأنه «رجل ممتع الحديث ، طيب المجالسة » ، وقد خدم لبعض أمراء الطوائف فى الأندلس (القرن ٥ هـ / ١١م، حيث كان من رجال دولة بنى حمود فى مالقة - ثم انتقل بعد ذلك الى بلاط بنى ذى النون أصحاب طليطلة ، فكان من خاصتهم ، وممن يحضرون مجالسهم [١] .

(٢)

دور السكندريين فى الحركة الفكرية فى الأندلس

لا شك أن الروابط الثقافية بين مصر والأندلس كانت أقوى الروابط - كما سبقت الاشارة - حيث لم تنقطع الرحلات العلمية بين البلدين طوال العصر الاسلامي ، وكانت هذه الرحلات سواء علميه أو تجارية أو لأداء فريضة الحج من أهم العوامل الى ساعدت على تحقيق التواصل بين المشرق والمغرب الإسلامى فى العصر الوسيط [٢] .

ولقد شارك السكندريون مع علماء مصر الآخرين فى ازدهار الحياة العلمية

---

(١) انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ مجلد ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) انظر : عبدالعزيز سالم ، التأثيرات المتبادلة ، ص ١ ، سعد زغلول عبدالحميد ، الأثرب المغربى والأندلسى ، ص ٢٧٠ .

فى الأندلس ، وإن كان اسهامهم فى هذا المجال لا يبلغ قدر ما أسهم به اخوانهم الأندلسيون فى مدينة الاسكندرية ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن موجه الهجرة الأندلسية إلى مصر كانت أقوى من مثيلتها المصرية إلى الأندلس ، لوقوع مصر فى الطريق الى الشرقين الأدنى والأوسط لمن أراد منهم أداء فريضة الحج ، أو رغب فى التكسب بالتجارة ، أو سعى لطلب العلم ، أو قد يعود إلى سوء الأوضاع السياسية فى الأندلس عقب هزيمة الموحدين فى موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، وازدياد الضغط الاسبانى المسيحى على الوجود الاسلامي فى الأندلس خلال القرن ٧هـ / ١٣م أو إلى ارتباط أهل مصر الوثيق بتراب بلدهم واشتغالهم بحرفة الزراعة التى تستلزم منهم الارتباط بالأرض .

ويتضح اسهام السكندريين فى الحياة الثقافية فى الأندلس فيما يلى :

أولا : فى الحديث والفقه :

قام علماء الحديث السكندريون بدور ملموس فى نشر المذهب المالكى وازدهاره فى الأندلس ، كما ادخل بعضهم المذهب الشافعى [١] ، إلى بلاد الأندلس التى كانت تتعصب للمذهب المالكى منذ عهد الأمير هشام الرضا.

ومن أبرز علماء الحديث والفقه السكندريين الذين استقروا فى الأندلس ،

---

(١) حول دخول المذهب الشافعى إلى الأندلس راجع : ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ترجمة رقم ١٠٤٩ ،

Makki, Ensayo Sobre las aportaciones orientales, pp. 212 - 213.

احمد الطوخى ، ص ٧٥ ، وما يليها .

وايضا بحثى : شخصيات مغمورة من البيت الأموى فى الأندلس فى عصر الدولة الأموية، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة اسيوط سنة ١٩٩٤ص ٧٠ هـ ٣

الفقيه المحدث زيد بن حبيب بن سلامة القضاعى الإسكندرانى ، الذى دخل الاندلس فى سنة ٤٣٣ هـ (فى عصر الطوائف) ، وكانت لديه رواية واسعة عن شيوخ مصر والشام والحجاز واليمن ، ثم هاجر إلى الأندلس واستوطنها ، وكان شافعى المذهب ، ومن مؤلفاته فى علم الحديث كتاب «الفوائد من عوالى حديثه» [١] ومنهم الفقيه أبو الطاهر اسماعيل بن الاسكندرانى (عاش فى القرن ٦ هـ) الذى تتلمذ ببلده على يد السلفى [٢] فقيه الاسكندرية الشهير ، ثم دخل الأندلس ، واستقر بمرسيه ، وكان أيضا فقيها على المذهب الشافعى[٣] .

ومنهم الفقيه محمد بن محمد بن محارب القيسى الاسكندرانى (عاش فى القرن ٦هـ) الذى دخل الأندلس فى أواخر القرن السادس الهجرى ، ونزل بغرناطة،

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٤٩ ؛ احمد الطوخى ، نفس المرجع السابق ، ص ٥٨.

(٢) هو أبو الطاهر أحمد بن محمد الاصبهانى السلفى (نسبة إلى لقب جده) أحد الحفاظ المكثرين، رحل فى طلب الحديث وتتلمذ على ايدى كبار الشيوخ فى المشرق الاسلامى، وكان شافعى المذهب، وقد زار بغداد واخذ الفقه وعلم اللغة عن علمائها ، ثم دخل الاسكندرية سنة ٥١١هـ، وأقام بها وقصده طلاب العلم من مختلف أنحاء مصر ، وسمعوا عليه ، وانتفعوا بعلمه ثم بنى له العادل على بن السلار (وزير الخليفة الظاهر الفاطمى) مدرسة بثغر الاسكندرية تعرف بالمدرسة العادلية أو بمدرسة الحافظ السلفى في سنة ٥٤٤هـ ، وأسند إليه التدريس بها ، إلى أن توفى بالاسكندرية فى سنة ٥٧٦هظ / ١٨٨٠م .

انظر (ابن رشيد السبتى ، السنن الأبين ، تحقيق الحبيب بن الخوجة ، تونس ، بدون تاريخ، ص ٢٧، هـ ٦٩ ، المقرى ، ازهار الرياض ، ج٣ ، الرباط ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٦٧ وما يليها ؛ جمال الدين الشيال ، تاريخ مدينة الاسكندرية ، ص ٤٤ ؛ أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٩ وما يليها ، عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية وحضارتها ، ص ٢١٩ ؛ سعد زغلول عبدالحميد ، الأثر المغربى ، ص ٢٣٤ ، أحمد النجار ، الانتاج الأدبى فى مدينة الاسكندرية فى العصرين الفاطمى والأيوبى ، القاهرة سنة ١٩٦٤ ،و ص ٥٦ ، ٦٢ - ٦٣) .

(٣) أنظر : ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٩٠ ترجمة رقم ٥٠١ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص ١٤٠ ، اسامة حماد ، نفسه . ج ٤ ، ص ٩٢١ .

وروى عن الفقيه ابن الفرس [١] ، الذى كان من جله فقهاء بلدة غرناطة [٢] . والفقيه المحدث أحمد بن معد التجيبى الاسكندرانى المعروف بالأقليشى (ت سنة ٥٥١هـ) - الذى ينتسب الى الاسكندرية - بلد أجداده - نشأة بدانية ، واستقر بها وتتلمذ على أيدى كبار العلماء الأندلسيين أمثال ابن العربى [٣] وابن سكرة الصدفى [٤] وعبدالحق بن عطية [٥] وغيرهم ، وكان متفننا فى علوم شتى ، عالما

---

(١) هو عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجى المعروف بابن الفرس ولى القضاء فى عدة مدن أندلسية وآخرها بغرناطة فى عهد الخليفة يعقوب المنصور الموحدي ، وجعل له أيضا النظر فى الحسبة والشرطة، وقام بأعماله خير قيام ، وله عدة مؤلفات فى الفقه منها كتاب الأحكام، وقد توفى فى سنة ٥٩٧هـ ، ودفن بباب البيرة بغرناطة. انظر (النباهى، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٠) .

(٢) ابن الأبار ، التكملة ؛ ج، ص ٦٦٨ ، ترجمة رقم ١٦٩٨ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربى المعافرى الإشبيلى ، قاضى قضاة اشبيليه، وأحد أئمة الأصول والفروع فى عصر المرابطين ، رحل الى المشرق سنة ٤٨٥ هـ ، وتفوق علي علماء الشام وبغداد والحجاز والاسكندرية، ثم عاد إلى بلده الأندلس سنة ٤٩٣هـ، وكان متقدما فى المعارف كلها حريصا على نشرها، واسع الرواية، وتوفى بالمغرب الأقصى ، ودفن بمدينة فاس سنة ٥٤٣هـ .

انظر (النباهى ، نفسه ، ص ١٠٥ - ١٠٧ ، المقرى نفح ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ وما يليها.

(٤) هو أبو على حسين بن محمد بن فيره بن حيون المعروف بابن سكره الصدفى من أهل سرقسطة، سكن مرسية واستقضى بها ثم استعفى ، ثم تولى قضاء المرية بعد ذلك، وكان قد رحل الى المشرق لطلب العلم فى سنة ٤٨١ هـ وسمع بمكة والبصرة، ثم عاد الى الاندلس سنة ٤٩٠هـ واستوطن مرسية، ودرس بجامعها، ورحل الناس من بلدان عديدة إليه وكثر السماع عليه، وتوفى شهيدا بثغور الأندلس فى سنة ٥١٤هـ . انظر (ابن الأبار ، المعجم فى أصحاب القاضى الامام ابى على الصدفى ، نشر دار الكاتب العربى ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ، مقدمة الكتاب ؛ المقرى، نفح الطيب، ج٢ ، ص ٢٩٨ - ٣٠٠).

(٥) هو الفقيه القاضى أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربى ، من أهل غرناطة، وأحد القضاة بالبلاد الأندلسية، وصدور رجالها ، ينتسب إلى بيت علم وفضل وكرم، كان عارفا بالأحكام والتفسير والحديث علاوة على الأدب والشعر ، ولى قضاء المرية فى سنة ٥٢٩هـ، وله كتاب الوجيز فى التفسير ، وتوفى بمدينة لورقة بشرق الأندلس سنة ٥٤١ هـ ، انظر (النباهى، نفسه ص ١٠٩) .

عـاملا متصوفا ، ومن مصنفاته فى علم الحديث «كتاب النجم» و «كتاب الكواكب» و «كتاب الغرر من كلام سيد البشر» ،و «كتاب حلى الأولياء» فى عدة أسفار [١] .

ثانيا : فى علم التاريخ :

كان لطبقة التابعين من أهل مصر الذين دخلوا الأندلس عند الفتح ، ثم عادوا إلى بلدهم مصر أثر كبير فى كتابه الأخبار التاريخية الأولى عن الأندلس ، ومن هؤلاء : على بن رباح وابو عبدالرحمن الحبلى وحبان بن أبى جبلة القرشى وبكر بن سواده الجذامى وغيرهم ، وكان لهذه الطبقة من التابعين منزلة كبيرة في مصر والمغرب والأندلس ، ولهذا كان من الطبيعى أن تتبع الأندلسيون أخبار بلادهم لدى هؤلاء أو من بقى فى مصر من نسلهم ، وساعد ذلك على ازدياد مكانة العلماء المصريين فى عيون تلاميذهم الأندلسيين مما جعل مصر هى المصدر الأول لأخبار الغرب الإسلامى [٢] .

وكان لعلماء الاسكندرية الذين وفدوا على الأندلس اسهام فى مجال الكتابة التاريخية ومن أشهرهم : محمد بن أبى السرور الروحى الاسكندرانى، الذى دخل الأندلس في أواخر القرن ٥هـ/١١م، وسمع من الفقيه ابن سكره الصدفى السرقسطى ، ومن أهم مؤلفاته : كتاب فى تاريخ الدولة العبيدية (الفاطمية) [٣] .

---

(١) انظر ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ٧٤ .

(2) Mahmud Makki, Egipto Y Los origens de lah istorografia arabigo-espanola, Revista del institute de estudios Islamicos Madrid, 1957, pp. 167 - 169,

راجع ايضا : العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣٦ .

(٣) ابن الأبار ، المعجم ، ص ١٠٢ ، ترجمة رقم ٨٣ .

ثالثا : فى علم الفلك

برز الكثير من علماء مصر والاسكندرية فى علم الفلك[١] وتأثر بهم الفلكيون فى الأندلس ويرى الباحث الاسبانى بايكروسا (Vallicrosa) أن الزرقالي [٢] الفلكى الطليطلى المشهور صنف تقويمه - وهو توقيت للأيام والتواريخ حسب منازل القمر والنجوم - على أساس تقويم صنعه فلكى سكندرى ويستدل على ذلك من وجود ترجمة لرسالة عربية بين مؤلفات الفونسو

---

(١) من علما مصر فى علم الفلك نذكر : ابن سند المنجم واضع الزيج الحاكمى المشهور الذى صنعه للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ويصفه ابن سعيد بأنه لم يكن بالقاهرة فى صناعة النجوم مثله، ويضيف الباحث بايكروسا أنه فى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر الأموى (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) وصلت إلى قرطبة رسالة فى الاسطرلاب للفلكى المصرى ما شاء الله ، وقد لقيت تلك الرسالة اقبالا عظيما فى الأندلس وأوربا بعد ترجمتها الى اللاتينية . انظر (ابن سعيد، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، ص ٣٦٤ ؛

J.M. Vallicrosa, El Quehacer astronomico de la España arabe, Revista de institute de estudios islamicos, Madrid. 1957, pp. 53 - 54.

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش التجيبى المعروف بالزرقالى أو ابن الزرقالة الطليطلى (ت سنة ٤٩٣هـ) أحد الأندلسيين البارزين فى علم الفلك والرياضيات ، وكان من أعلم الناس فى الأندلس بالأزياج، وهى التقاويم الفلكية القائمة على حساب النجوم وقد حظى الزرقالى بمنزلة رفيعة لدى المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة فى عصر الطوائف . وتتجلي مهارة الزرقالى العملية فى صناعته لحوضين كبيرين معروفان باسم البيلتين خارج طليطلة ، قدر بهما منازل القمر على أساس رياضى دقيق ، ومن أعماله أيضا الجداول الطليطلة وتعديل الزيج المأمونى ورسالة فى النجوم الثابتة والصفيحة، وهى صفيحة من معدن رسمت عليها كرة الأرض بخطوط الطول والعرض تتخذ أساسا لقياس الأبعاد والأطوال ، وقد وضع الزرقالى تقويما يعتبر أساس كل التقاويم التى وضعت فى العصور الوسطى . انظر (صاعد الأندلسى ، طبقات الأمم، طبعة مصر، بدون تاريخ ص ٨٥، الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٣ ، ابن الأبار ، التكملة ، ج١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ترجمة ٣٥٨ ؛ القفطى ، أخبار الحكماء ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٢ ؛ جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٥ ، ص ٤٥١ - ٤٥٣؛ بايكروسا ، جهود الزرقالى فى علم النجوم؛ ترجمة حسين مؤنس ضمن بحوث الجلسات العلمية الاندلسية ، مالقة سنة ١٩٦٦ ، ص ٢٧ - ٢٨؛

Vallicrosa, op. cit., pp. 60 - 63.

العاشر تتضمن تقويماً منسوباً الى عالم سكندرى الأصل شديد الشبه بالتقويم الزرقالى [١] .

(٣)
السكندريون ودورهم فى التجارة الخارجية

أكدت المصادر الجغرافية وجود صلات تجارية بين الاسكندرية وموانىء الأندلس الكبرى مثل المرية ومالقة ودانية، فيذكر الادريسى أن المرية كانت تقصدها المراكب من الاسكندرية ، ويضيف بأن مصر كانت باب المغرب ، ومنها تجلب طرائف الهند والسند والعراق إلى بلاد المغرب والأندلس [٢] .

وهناك إشارات عديدة فى وثائق الجنيزة تفيد بأن سفن الاسكندرية كانت

---

(١) الفونسو العاشر (Alfonso X) المعروف بالعالم (El. Sabio) ملك قشتالة وليون (١٥٢ – ١٢٨٤م) ، ولد فى طليطلة سنة ١٢٢١م ، وكان من أكبر دعاة الثقافة الاسلامية فى اسبانيا المسيحية، وقد اشتهر باقباله على العلم وتشجيعه للعلم والعلماء ، وكان لتلك السياسة أثرها الكبير فى ترجمة العديد من الكتب العربية إلى القشتالية، وتم تأليف عدد كبير من الكتب تحت رعايته، وجمعت مادة معظم هذه الكتب من المصادر العربية بمساعدة من العلماء اليهود ، ومن أهم تلك المؤلفات المدونة العامة الأولى لتاريخ إسبانيا المعروف باسم Primera Cronica Gencral dc Espana
علاوة على كتاب التاريخ العام الكبير المسمى Granded Genncral Estoria ويتضمن دراسات فى الفلك والأزياج الألفونسية المشهورة ، انظر: (ترند ، إسبانيا والبرتغال، ترجمة حسين مؤنس ، ضمن كتاب تراث الاسلام) ج ١ ، نشر لجنة الجامعين سنة ١٩٨٣ ، ص ٦٠ - ٦١.» Aguado Bleye. Manual de historia de Espana, Madrid, 1947, pp. 681 - 682.

(٢) انظر : نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٥٦٢ .

تتجه مباشرة الى ميناء المرية الأندلسي ، وأن التجـار اليهـود كانـوا يتنقلون باستمرار ودون قيود بين الاسكندرية والمرية وإشبيلية طوال العصر الوسيط [١] .

وجدير بالملاحظة أن كتب التراجم لم تزودنا بأسماء من ورد على الأندلس من التجار السكندريين ، حيث أن التراجم التى وصلتنا تتصف بأنها مصرية ، دون تحديد المدينة أو البلدة التى ينتسب اليها هؤلاء التجار، غير أن نقشا كتابيا على شاهد قبر عثر عليه فى المرية يتضمن إشارة غاية فى الأهمية تدل على وجود علاقات تجارية وثيقة بين الاسكندرية الفاطمية والمرية (فى عصر المرابطين)، فيفيد النقش الجنزى[٢] الذى عثر عليه فى مدينة المرية أن تاجرا سكندريا يدعى ابن خليف [٣] رحل إلى المرية فى تجارة ، وتوفى بها سنة

---

(1) Goitein, Amediterranean Society, Vol. I, California, 1967, pp. 212 - 213.

(٢) أورد الباحث ليفى بروفنسال نص النقش الجنزى ، وهو كما يلى :

.. الحمد لله .. وارث الأرض ومن عليها ومعيد من خلق فيها إليها الذى جعل الموت غاية المخلوقين وسبيل الأولين والآخرين وانفرد بالبقاء ، لا إلاه إلا هو رب العالمين ها ذا قبر التاجر .... ابن خليف الاسكندرانى توفى رحمة الله عليه غدوة يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام تسعة عشر وخمس مائة وهو يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله وان الجنة حق . يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

انظر (Levi Provencal, Inscriptions arabes D'Espagne, Paris, 1931, p. 116).

(٣) بنو خليف من الأسر السكندرية المشهورة بالعلم والجاه والنباهة فى ثغر الاسكندرية فى العصرين الفاطمى والايوبى ، فيذكر المقرى - نقلا عن ابن ظافر - أن بنى خليف كانوا يمتلكون قصرا بظاهر الاسكندرية ، ووصفه الشاعر ابن قلاقس ، السكندرى بأنه مطل على البحر ويمتاز بالجمال والارتفاع ، ومحاط بأشجار الكروم، والنخيل ، انظر : (المقرى ، نفح ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ ، عبدالعزي سالم ، تاريخ مدينة الاسكندرية ، ص ٢١٥؛

Abd El Aziz Salem D'Alexandria A Almeria, Une Famille Alexandrineau moyen age, Aix, en-provence, 1987, 0 66

٥١٩هـ/١١٢٥م [١] .

ولعل ازدهار التجارة الخارجية بين الاسكندرية والمرية ، يرجع الى غلبة الاتجاه البحرى على موقعيهما ، واعتمادهما علي النقل البحرى فى مجال التجارة الخارجية ، فكانت الاسكندرية هى باب المغرب ، فى حين كانت المرية هى باب المشرق، ومفتاح الرزق ، وتقصدها المراكب من شتى موانيء البحر المتوسط خصوصا من الاسكندرية والشام ، مما كان سببا في ثراء أهلها ، ورخاء المدينة، وعمران أسواقها بمختلف السلع والتجارات [٢] .

وتذكر المصادر الجغرافية ان تجار الاسكندرية كانوا يحملون الى بلاد الاندلس والمغرب : التوابل التى تعتبر من. أهم السلع فى تجارة الصادرات فى ثغر الاسكندرية ، علاوة على البخور والعطور والأعشاب الطبية ومواد الصباغة والأقمشة الكتانية السكندرية المشهورة والمنسوجات الموشاة بخيوط من الذهب والفضة. وكانوا يجلبون - بدورهم - من الأندلس زيت الزيتون الإشبيلى المعروف بجودته ، والتين المالقى والغضار المذهب (الخزف) والمنسوجات الحريرية، وغير ذلك من السلع الأندلسية التى ذاع صيتها فى شرق البحر المتوسط

---

(١) عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ ، ص ١٧٠؛

Salem, D Alexandric A Almeria, p. 67.

(٢) انظر الادريسى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٦٢ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج٢ ، سنة ١٩٥٥م ، ص ٢٨٣؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج٢، ص ١٩٣ ؛ الحميري، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٨٤ ، ص ٦٥، ٥٣٨؛

Salem, Algunos aspectos del Flore cimiento de Almeria Islamica, Madrid, 1979, p. 11 & Emilio Molina Lopez, Algunos consideraciones sobre la vida socio-economico de Almeria, actas del IV coloquio Hispano - Tunectiono, Madrid, I.

وأوربـــا المسيحية [١] .

(٤)

اسهام السكندريين فى الفنون الاندلسية

١ - فى فن العمارة :

أشارت المصادر الاندلسية إلى اسهام أحد عرفاء البناء السكندريين فى بناء مدينة الزهراء [٢] قرب الحاضرة قرطبة فيذكر المقرى - نقلا عن ابن حيان - ان الخليفة عبدالرحمن الناصر استعان عند شروعه فى بناء مدينة الزهراء بمجموعة من عرفاء البناء (المهندسين) المشهورين فى عهده ومنهم على بن جعفر الاسكندرانى

---

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، بيروت بدون تاريخ ، ص ١٠٩ ، الزهرى ، نفسه ، ص ٥٠؛ ٨٩؛ الحميرى ، نفسه ص ٥٩ ، ٤٦٩ ، ٥١٧؛ عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية، ص ١٢٧ ؛ عز الدين موسي ، النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٣ ، ص ٣٢٠ ؛ أحمد الطوخي نفسه ، ص ٨٨ - ٨٩؛ اسامة حماد نفسه ، ج٢ ، ص ٨٠١ - ٨١٠؛

Pedro Martinez, Islam, Y cristiandad en la economia Mediterranean, Moscu, 1970, p. 10.

(٢) تقع مدينة الزهراء بسفح جبل العروس على مسافة خمسة أميال غرب قرطبة ، وقد بدأ الخليفة الناصر فى بنائها فى سنة ٣٢٥هـ - ويصفها الادريسى بأنها مدينة عظيمة رحبة البنية، مدينة فوق مدينة ، حيث أنها تتكون من ثلاثة أجزاء، فالجزء العلوى منها عبارة عن قصور يقصر الوصف عن صفاتها ، أما الجزء الأوسط فهو بساتين وروضات ، بينما الجزء الثالث يشتمل على الجامع وديار أهل الخدمة والفتيان الصقالبة والجند المرتبين ، وكان أول بناء يقيمه العرفاء هو قصر الخلافة الذى كان يشتمل على ١٢٠ دارا ومخازن وأهراء للزيت والسمن والسجن الكبير ، وكان القصر يضم مجلسين رئيسيين هما المجلس الشرقي ويعرف بقصر المؤنس ، والمجلس الغربي ويسمى مجلس البديع أو مجلس الذهب ، وكانت أرضيته مكسوة بالرخام الملون ، وكان يتوسط هذا المجلس حوض مذهب كبير مملوء بالزئبق، وكانت المدينة تضم أيضا دارا للسكة علاوة على البساتين التى احتوت على حديقة للحيوانات وحوض السباحة وغير ذلك من أماكن التسلية واللهو راجع التفاصيل حول وصف الزهراء في " الإدريسى ، نفسه

ومسلمة بن عبدالله (عريف العرفاء) وعبد الله بن يونس وحسن بن محمد القرطبي . ويضيف المقرى أن عرفاء البناء جلبوا الرخام من قرطاجة وتونس وصفاقس بإفريقية، التي اشتهرت بالرخام الوردي والأخضر . وكان الخليفة الناصر يجزل لهم العطاء نظير ذلك [(١)] .

٢ - فى فن الغناء والموسيقى

ازدهر فن الغناء والموسيقى فى الاندلس منذ عصر الدولة الأموية، وساعد على ذلك تشجيع أمراء بنى أمية وخلفائهم لذوى المواهب الفنية واستقدام العديد

ج٢ ،== == ص ٥٧٩ ، ابن غالب نفسه ، ص ٣٠٠؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١١٤؛ جومث مورينو ، الفن الإسلامي فى إسبانيا ، ترجمة لطفى عبدالبديع وعبدالعزيز سالم ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧١ ما يليها ؛ أحمد فكرى ، قرطبة فى العصر الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠٢ وما يليها ، عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، بيروت سنة ١٩٧١ ، ص ٢٣٧ وما يليها؛

Torres Balbas, Ciudades hispano musulmana, t, 1, Madrid, pp. 63 - 64.

(١) نفح الطيب . ج٢ ، ص ٦٨ ، ١٠٥ ، عبدالعزيز سالم ، قرطبة، ج١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، محمد الكحلاوى ، عرفاء البناء فى المغرب والاندلس ، بحث ألقى فى مؤتمر الأندلس بالرياض سنة ١٩٩٣ ، ص ١٧ . وتجار الاشارة هنا إلى أن منار الاسكندرية الشهير الذى كان يعد أحد عجائب الدنيا أثر ايضا على العمارة المغربية والأندلسية لكونه أبرز معالم الاسكندرية فى العصر الاسلامى ورسوخ صورته فى أذهان المغاربة والأندلسيين . ووما يؤكد ذلك أن مهندسى البناء الأندلسيين فى عهد الخليفة المنصور الموحدى تأثروا بعمارة المنار الداخلية فى بناء مئذنة جامع القصبة بإشبيلية، جيث ان هذه المئذنة (وكذلك مئذنة جامع الكتبية بمراكش ومئذنة جامع الرباط) مثل المنار يصعد إلى أعلاها بغير درج إنما فى «طريق واسعة للدواب والناس» ... وقد بنيت المئذنة من الحجارة التى نقلت من سور قصر ابن عباد . انظر (ابن صاحب الصلاة)، المن بالأمامة، تحقيق عبدالهادي التازى ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٤٨٢؛ عبدالعزيز سالم ، المساجد والقصور فى الأندلس ، الاسكندرية سنة ١٩٨٦ ، ص ٤١ - ٤٢؛ سالم التأثيرات المتبادلة ، ص ٤ - ٥) .

من المغنيـــات والمغنيـــين مـــس بلدان المشرق الاسـلامي وخصـوصـا مـس بغـداد والمدينة [١]

وقد عرف عن الخليفة عبدالرحمن الناصر انه استقدم مغنيات سكندريات لأول مرة إلى الأندلس . فيذكر ابن الأثير انه فى سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ - ٩٥٦م جلب الخليفة الناصر عدة جوارى معنيات مس الاسكندرية [٢] ، ولا شك أنهن أسهمن مع زميلاتهن المدنيات وغيرهن من الجوارى اللاتى تعلمن على يد المغنى العراقى الشهير ررياب فى رقى فں العناء والموسيقى فى الأندلس . وساعد على ذلك أيضا ظهور الموشحات التى نظمت لتلائم الغناء والموسيقى دون التقيد بعلم العروض والقافية [٣]

---

(١) انظر المقرى . نفح الطيب ج ٤ ، ص ١١٨ ١٢٧ . ١٣٧ . ١٤ حوليان ريبيرا . التربيه الإسلامية فى الأندلس . ترجمة الطاهر مكى . دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨١ . ص ٩٦ ٩٧

(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ح ٧ طبعه سروب. ص ٢٥٤ عبدالعزيز سالم . قرطبة حاضرة الخلافة ج١ ص ٥٩

(٣) انظر تيمور احمد أثر الموسيقى العربية فى الموسيقى الأندلسيه بحث القى فى مؤتمر الحضارة الأندلسية بجامعة القاهرة ٢ مارس ١٩٨٥ ص ٨

مصادر ومراجع البحث

اولا : المصادر العربية القديمة :

١ - ابن الأبار : التكملة ، كتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ .

٢ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣.

٣ - ابن الأبار : المعجم فى أصحاب الامام القاضى أبى على الصدفى ، القاهرة، سنة ١٩٦٧.

٤ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ،. طبعة بيروت ، سنة ١٩٨٧ .

٥ - الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، نشر دار الثقافة الدينية، القاهرة ، بدون تاريخ .

٦ - ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٩ .

٧ - ابن بشكوال : الصلة ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، سنة ١٩٦٦ .

٨ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب القاهرة سنة ١٩٣٠ .

٩ - ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، طبعة ، بيروت سنة ١٩٨٣ .

١٠- ابن حوقل : صورة الأرض ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .

١١ - ابن حيان : قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ .

١٢ - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، سنة ١٩٣٤ .

١٣- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت سنة ١٩٧١.

١٤ - الحميدى : جذوة المقتبس ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة سنة ١٩٦٦.

١٥ - ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف بدون تاريخ .

١٦ - ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبدالهادى التازى ، بيروت سنة ١٩٦٤ .

١٧ - صاعد الاندلسى : طبقات الأمم ، طبعة مصر ، بدون تاريخ .

١٨ - ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ، نشر ليفى برفنسال . المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرةج ، سنة ١٩٥٥ .

١٩ - ابن عذارى المراكشى : البيان لمغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، ج١ ، ٢ ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٨٠ .

٢٠ - العذرى : ترصيع الأخبار ، تحقيق عبدالعزيز الأهوانى ، مطبعة المعهد المصرى بمدريد سنة ١٩٦٥ .

٢١ - ابن غالب : قطعة من فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع ، مجلة المعهد المخطوطات العربية، ج ٢ ، سنة ١٩٥٥ .

٢٢ - ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، نشر الدار المصرية ، القاهرة، سنة ١٩٦٦.

٢٣ - القفطى : أخبار الحكماء ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .

٢٤ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار

الكتاب المصرى واللبنانى ، سنة ١٩٨١ .

٢٥ - الكندى : الولاة والقضاة ، نشر رفن جست ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م،

٢٦ - المقرى : أزهار الرياض فى أخبار عياض ، الرباط سنة ١٩٧٨ .

٢٧ - المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعى، بيروت سنة ١٩٨٦ .

٢٨ - المقريزى : الخطط ، ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٨٧ .

٢٩ - مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، سنة ١٩٨١ .

٣٠ - النباهى المالقى : تاريخ قضاة الأندلس ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .

٣١ - النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، تحقيق أحمد كمال زكى ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠م .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة والمعربة :

١ - أحمد محمد الطوخي (دكتور) : مصر والأندلس ، دراسة فى العلاقات السياسية والعملية والاقتصادية والفنية، نشر مركز الدلتا، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨م.

٢ - أحمد النجار : الانتاج الأدبى في مدينة الاسكندرية فى العصرين الفاطمى والايوبى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ .

٣ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والاندلس ، بحث ألقي فى مؤتمر الحضارة الاندلسية بجامعة القاهرة مارس سنة ١٩٨٥ .

٤ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية بدون تاريخ .

٥ - أحمد مختار العبادى (دكتور) : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، الاسكندرية سنة ١٩٨٧ .

٦ - أحمد مختار العبادى (دكتور) ، والسيد عبدالعزيز : تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر المتوسط ، الاسكندرية ، بدون تاريخ.

٧- أسامة أحمد حماد : الاسكندرية فى عصر دولتى سلاطين المماليك رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٨٧ .

٨- بايكروسا : جهود الزرقالى فى علم النجوم ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للجلسات العلمية الاندلسية ، ترجمة حسين مؤنس ، مالقة سنة ١٩٦٦ .

٩ - تيمور أحمد : أثر الموسيقى العربية فى الموسيقى الاندلسية، بحث ألقى فى مؤتمر الحضارة الاندلسية بجامعة القاهرة ، مارس سنة ١٩٨٥ .

١٠- جمال الدين سرور (دكتور) : مصر فى عصر الفاطميين (ضمن موسوعة تاريخ مصر الاسلامية) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٢.

١١- جمال الدين الشيال (دكتور) : تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٧ .

١٢- حسن أحمد محمود (دكتور) : حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .

١٣- حسين مؤنس (دكتور) : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، نشر دار المستقبل، القاهرة سنة ١٩٨ .

١٤- حمدى عبدالمنعم محمد (دكتور): مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأوية رسالة دكتوراه ، غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ، ١٩٨٤.

١٥- خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس ، ترجمة الطاهر مكى ، دار المعارف ، سنة ١٩٨١ .

١٦- سعد زغلول عبدالحميد (دكتور) : الأثر المغربى والأندلسى فى المجتمع السكندري ، ضمن بحوث مجتمع الاسكندرية عبر العصور ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٧٥ .

١٧- سعد زغلول عبدالحميد (دكتور) : تاريخ المغرب العربي ، الاسكندرية، سنة ١٩٧٨ .

١٨ - السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب

الاسلامى فى مجال فنون العمارة والزخرفة ، بحث ألقى فى مؤتمر التبادل الحضارى بين شعوب البحر المتوسط ، الاسكندرية، ١٩٩٤

١٩- السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، طبعة بيروت ، سنة ١٧١ .

٢٠- السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٤ .

٢١- السيد عبدالعزيز سالم (دكتور) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

٢٢- سيدة كاشف (دكتوره) : مصر فى عصر الولاه ، القاهرة سنة ١٩٨٨ .

٢٣- سيدة كاشف (دكتوره) : مصر فى عهد الاخشيديين ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩.

٢٤- محمد أحمد ابوالفضل (دكتور) : حول السفارات الأندلسية الي دول أوربا ، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٣ - ١٩٨٤ .

٢٥- محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٨ .

ثالثا : المراجع الاجنبية :

1- Abd Al Aziz Salem: D'Alexandrie A Almeria, Une Famille Alexandria au moyen age, Aix-en Provence, 1987.

2- Abd Al Aziz Salem: Algunos aspectos del Florecimiento de Almeria Islamica, Madrid, 1979.

3- Aguado Bleye: Manual de historia de Espana, Madrid, 1974.

4- Gaspar Remiro: Murica musulmana, Zaragoza, 1905.

5- Goitein: A mediterranean Society, Vol, 1, California, 1967.

6- Levi-Provencal: Historie de L'Espagne musulmane, paris, 1950.

7- Levi Provencal: Inscriptions arabes d'Espagne Paris, 1931.

8- Levi Provencal: L'Espagne musulmane au xeme Siecle, Paris, 1932.

9- Elias Teres: Linajes arabes en al-Andalus, Revista del al-Andalus, XII, Madrid, 1957.

10- Mahmoud Makki: Ensyao Sobre Las aportaciones orientales en la Espana musulmana, Revista

del insitituto de estudios islamicos - vol, Ix X. Madrid. 1961-1962.

11 Mikel de Eplaza: El esplendor de al - Andalus reflejo del esplendor Fatimi, en actas del IV Coloquio Hispano-Tunecino. Madrid. 1983.

12- Pedro Martinez: Islam Y cristinaidad en la economia mediterraneanm, Moscu, 1970.

13- Rubiera (M.J.) La Taifa de Denia, Alicante. 1985.

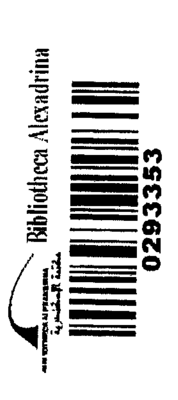
14- Simonet: Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1903.

15- Torres Balbas: Ciudades hispano muslmanas, Madrid.

الفهرس






Bibliotheca Alexadrina
0293353